إلا رســـول الله ﷺ

دراسات إعلامية

صدى الإساءة الدنماركية

لمحمد خير البرية

في الصحافة المصرية

الدكتـــور
جمال عبد الحي النجار
رئيس قسم الصحافة والإعلام
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر - فرع البنات بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ
وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ
وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى ﴾

(سورة النجم : ١ – ٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي العَرْشِ
مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ *
وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِضَنِينٍ *
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ *
إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

(سورة التكوير : ١٩ – ٢٧)

الإهــداء

إلى من أرسله الله رحمة للعالمين

إلى صاحب الوسيلة والفضيلة

إلى صاحب الحوض المورود

إلى من صلى الله عليه والملائكة

إلى من جعله الله شهيدًا على الناس

إلى من شرح الله صدره ورفع ذكره

إلى من أعطاه الله الكوثر

إلى من أقرأه الله وعلمه

أهدى هذا العمل راجيًا من الله أن يجعله في ميزان عملي وأن يسقني من يد حبيبه شربة هنيئة لا أظمأ بعدها أبدا .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، وقال في كتابه الكريم : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٦٤ آل عمران) .

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة ، أرسله الله رحمة للناس بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبع ملته وسار على نهجه إلى يوم الدين .

وبعد

فإن الهجوم على الإسلام ليس جديدًا ، بل إنه بدأ مع بزوغ شمس الإسلام ، وبمجرد أن أعلن الرسول ﷺ أنه مرسل من رب العالمين ، وطوال عصور الدولة الإسلامية ، وفي مختلف بقاع الأرض كان الهجوم على الإسلام هو المحرك الأول لأعدائه ، الذين أثاروا ضده الشبهات ، وألصقوا به التهم والافتراءات ، وكان لعلماء الإسلام الفضل في إظهار حقيقة الدين الحنيف وبيان سماحته ، اعتماداً على القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ ، اللذين كانا ومازالا هما المصدر الأول للثقافة الإسلامية ،

وللأسف حتى هذا اليوم لم يتوقف الهجوم على الإسلام والمسلمين، بل وصل هذا الهجوم إلى سيد الخلق عليه السلام ، حيث تجرأ بعض السفهاء عليه وسخروا منه عن طريق الرسوم الكاريكاتيرية ، ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة ، وأهمية الكتابة عن هذا الحدث المسيء الذى يتصل بشخصية النبى ﷺ ، والإهانة التى لحقت به وبالمسلمين من جراء نشر هذه الرسوم البذيئة .

بدأت أزمة هذه الرسوم حينما نشرت صحيفة يولاندز بوستن الدانماركية فى سبتمبر ٢٠٠٥ م رسمًا كاريكاتيريًا مسيئًا للرسول ﷺ ، ثم أعادت صحف أوربية أخرى نشر هذه الرسوم ، مثل صحيفة فرنسو سوار الفرنسية وصحيفة نرويجية تدعى مجازينت فيبرن سليك ، وصحف أوربية أخرى تحت دعوى حرية التعبير والنشر ، والتضامن مع الصحيفة الدانماركية .

وقد توالت أثر هذا ردود الفعل الغاضبة فى البلاد العربية والإسلامية ، بل وغير الإسلامية عبرت عنها وسائل الإعلام فى كل أنحاء الأرض ومن بينها الصحافة المصرية .

كما شهدت البلاد العربية والإسلامية مظاهرات واحتجاجات وحملات مقاطعة لمنتجات الدول الأوربية التى نشرت تلك الرسوم المسيئة للرسول ﷺ ، كما شهدت هذه البلاد بعض أعمال عنف ، وسط دعوات بعض علماء المسلمين للمحتجين للتعبير عن غضبهم بالوسائل السلمية .

والحقيقة أن الإسلام يتعرض لحملة شرسة فى العصر الحديث من جانب الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ، التى تحاول تشويه

صورته ، حيث تصف الإسلام والمسلمين بالإرهاب . وقد تزايدت هـذه الحملة بعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م التى تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية ، وأسفرت عن انهيار برجـى مركـز التجارة العالمى فى نيويورك واللذين كانا يعتبران من المعالم الحضارية والاقتصادية فى الولايات المتحدة الأمريكية .

اتخذت هذه الحملة أشكالاً عديدة بدأت بتصريـح مـن الرئيـس الأمريكى جورج بوش نفسه ، حين قال إن الولايات المتحدة الأمريكيـة وأوربا تتعرض لحرب صليبية على أيدى المسلمين ، ثم عاد وتراجـع عن هذا التصريـح إزاء ردود الأفعـال الغاضبـة مـن المسـلمين ، والانتقادات التى وجهت إليه .

وكما يؤكد الدكتور مصطفى الشكعة – المفكر الإسلامى – إن هذه الصورة المأخوذة عن الإسلام ليست بحديثة العهد ، فمنذ القدم فى القرن الثالث الهجرى .. ومنذ بداية الحروب الصليبية والغرب يكره الإسلام.. وأن الحروب الصليبية على الإسلام لم تنته بهزيمة صلاح الدين الأيوبى للأوربيين فمازالت مستمرة حتى اليوم .

أما عن سبب كراهيتهم للإسلام فإنهم يخشون انتشـاره وقضائـه على الأديان المحرفة والمبدلة ، ولذلك فالإسلام يدرس فـى مدارسـهم مشوهًا بحيث ينشأ الطفل كارهًا للإسلام. (صوت الأزهر ٣ مارس ٢٠٠٦).

وليس الأمر كما يدعى البعض أنها حرية تعبير !! إن ما نشـرته الصحيفة الدانماركية ومن بعدها العديد من الصحف الغربية من رسـوم مسيئة لنبينا ﷺ بمثابة ترجمة حرفية للعداء الذى يكنه الغرب للإسـلام

ونبيه والمسلمين أجمعين ، فهناك إصرار متعمد من الغـــرب لتصعيـــد الكراهية والعداء لكل مسلم .

إن قصة هذه الحملة المدبرة كما تشير إلى ذلك صحيفة الجارديان البريطانية أحد أهم الصحف العالمية ، بدأت عندما فشل أحد المؤلفيـــن المتعصبين فى العثور على رسام يرسم له رسومات كاريكاتيريـــة فـــى كتاب يعتزم إصداره عن نبى الإسلام ، وهو الكتاب الذى رفضـــت دور نشر كثيرة إصداره .

وتشير الجارديان أن الصحيفة الدانماركية صنعت قضية مـــن لا شئ ، فقد اعتبرت فشل المؤلف فى العثور على دار نشر لطبع كتابـــه ضد الرسول ﷺ بمثابة رقابة داخلية مارستها دور النشر على نفســـها ، ورفضت الكتاب، وبالتالى قررت إدارة الصحيفة التعاقد مع ١٢ رسامًا، وطلبت منهم تصوير النبى ﷺ وقد ارتدى عمامة كبيرة تخفـــى تحتـــها قنبلة لها أزيز ، وفى هذا إشارة واضحة إلى النبى ﷺ ، أنـــه إرهـــابى يدعو للعنف . (أخبار اليوم ٩ فبراير ٢٠٠٦) .

وربما الذى أشعل الغضب فى نفوس المسلمين وأجج ردود الفعـــل العنيفة فشل الجهود الدبلوماسية التى بذلت لدفع الصحيفة التى نشـــرت الرسوم للاعتذار عما فعلته ، وتضامن بعض الصحف الأوربية معـــها ، وفشل مساعى سفراء الدول الإسلامية الذين التقوا بعدد من المسئولين ، وصرحوا بأنهم ليسوا طرفًا فى الموضوع ، وأنهم لا يملكـــون ســـلطة تجبر الصحيفة على الاعتذار، هذا فى البداية، وإن كان الأمر اختلف بعد حملات الغضب والمقاطعة الاقتصادية للسلع الدنماركية ، كما يتضـــح

من خلال هذه الدراسة ، التى نحاول من خلالها رصـد وتحليـل ردود الأفعال تجاه هذه الحملة ، وكيف رصدتها الصحافة المصرية ، وعبرت عنها فى أشكال وفنون صحفية (مقالات تحقيقات ، تقارير .. إلـخ) محاولين أن نجلى الموقف الشعبى والرسمى ، والمقترحـات والحلـول التى قدمت فى هذا الشأن .

هـدف الدراسة :

ومن هنا تتضح أهداف الدراسة فيما يلى :

أولاً : رصد ردود الفعل التى نشرتها الصحافة المصرية علـى صفحاتها تجاه الرسوم البذيئة للرسول ﷺ للجماهير أفرادًا وجماعـات ، وللمؤسسات الرسمية والمنظمات الإسلامية وغيرهـا مـن المنظمـات الأخرى .

ثانيًا : تسجيل مواقف العلمـاء والمفكريـن ، ومـدى اتفاقـهم واختلافهم فى النقد ، ورؤيتهم حول أولويات المواجهة والمطالبة والـود والاحتجاج واجتهاداتهم إزاء هذا الموقف .

ثالثًا : التعرف على أهداف هذه الحملة ، وهل هى حدث عابر أم أنها حملة مقصودة ومدبرة ومخطط لها ، وجزء من الغـزو الثقـافى والحقد على الإسلام والمسلمين ، وإيجاد صورة ذهنية تصفهم بالإرهاب والتطرف ، وتصف رسولهم بالإرهاب والعنف .

رابعًا : كيفية مواجهة هذه الحملات ، والدروس المستفادة منـها واستثمارها لصالح الإسلام .

مادة الدراسة :

أخذت مادة هذه الدراسة من الإصدارات المصرية خـــلال شـــهر فبراير ٢٠٠٦ ، وهو الشهر الذى احتدمت فيه المظاهرات ، وتـــأججت فيه ردود الفعل حول الرسوم المسيئة للنبى ﷺ . سواء كانت صحـــف حكومية أو حزبية أو مستقلة أو دينية . والصحف التى اعتمدنا عليه هى الأهرام ، الأخبار ، أخبار اليوم ، الجمهوريـــة ، الأســبوع ، الوفــد ، صوت الأزهر ، المصرى اليوم .

تقسيم الدراسة :

تنقسم هذه الدراسة إلى مقدمة وعشرة فصول ثم خاتمة وتوصيات، وجاءت على الصورة التاليـــة :

المقدمة .

الفصل الأول : ثورة الغضب تشتعل فى العالم العربى والإسلامى.

الفصل الثانى : موقف الصحافة الغربية .

الفصل الثالث : موقف الحكومات الغربية .

الفصل الرابع : موقف الحكومات العربية والإسلامية .

الفصل الخامس : موقف المؤسسات والمنظمات الإسلامية .

الفصل السادس : موقف المؤسسات القبطية والأقباط .

الفصل السابع : أزمة الرسوم الدانماركية وحرية التعبير والحوار.

الفصل الثامن : أهداف الإساءة إلى الرسول ﷺ .

الفصل التاسع : كيفية المواجهة ودور الأزهر .

الفصل العاشر : كيف يمكن استثمار هذه الأزمة لصالح الإسلام والمسلمين .

الخاتمة : وتشمل خلاصة مركزة لما جاء فى الدراسة .

التوصيات .

وفى الختام أتوجه إلى الله الكريم المنان بديع السماوات والأرض الحى القيوم بعملى هذا خالصًا لوجهه الكريم ، والذى أرجو أن يزين لى به صحيفتى يوم الدين، فأحتسب أجرى عنده ، وحسبى الله ونعم الوكيل، فتوفيقى منه سبحانه وقبوله لى منةٌ وفضل من كرمه ، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود : ٨٨) .

وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه وذريته ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

دكتور

جمال عبد الحى النجار

الفصل الأول

ثورة الغضب تشتعل
فى العالم العربى والإسلامى

ثورة الغضب تشتعل

فى العالم العربى والإسلامى

اشتعلت مظاهر الغضب والاستنكار فى كل أنحاء العالم العربى والإسلامى ، وفزع المسلمون على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ، حين نشرت صحيفة دانماركية (يولاندز بوستن) رسومًا كاريكاتيرية تسئ فيها إلى مقام النبى محمد ﷺ ، واشتد الغضب والمظاهرات وحملات الرفض والاستنكار والمقاطعة حين أعادت نشر هذه الرسوم صحف أوربية غربية أخرى ، لدرجة وصلت إلى حد الأزمة .

ولقد نقلت الصحافة المصرية كل مظاهر الاحتجاج وتداعيات هذه الأزمة وتفاعلت مع الجماهير فى كل مكان ، وعبرت عن آلامهم ، وآمالهم وغضبهم . وكانت ساحة للحوار والنقد والتفنيد والتسجيل لكل ما دار حول هذه الأزمة .

وقفت الصحف المصرية تذود عن رسول الله ﷺ فى مواجهة هذه البذاءات الحقيرة ليس بحثًا عن سبق صحفى مهنى ، بل دفاعًا عن عقيدة استبيحت فى دوائر الغرب ، وعن رسول الله ﷺ ، وعن مشاعر مليار ونصف من المسلمين التى أهينت . على مدى أسابيع بل شهور وقفت الصحف المصرية تدافع بكل ما تملك للرد على الذين داسوا على كل المقدسات ، وأعلنوا صراحة عداءهم للرسول الكريم ﷺ ولأمة الإسلام ومقدساته وثوابته . وهذا ما يتضح فى هذه الدراسة .

بداية الأزمـــة :

بدأت هذه الأزمة منذ سبتمبر ٢٠٠٥ م حيث كان أحد المؤلفيـــن الدانماركيين قد أرسل رسالة إلى رئيس تحريـــر صحيفـــة (يولانـــدز بوستن) وهى من أكبر الصحف فى الدانمارك ، يقول فيها أنه قد قـــام بتأليف كتاب عن الرسول محمد ﷺ ، ويحتاج إلى بعـــض الرســـومات لنشرها فى الكتاب ، لكنه فوجئ برفض بعض الفنانين لرسم النبى خوفًا من رد فعل المسلمين !!

وقد نشر رئيس التحرير هذه الرسالة ، وكتب يقول : إنه لا شـــئ فوق حرية الصحافة ، ودعا إلى مسابقة بين ٢٤ من الرسامين فى نقابة الرسامين بكوبنهاجن ، للمشاركة فى رسم الرسومات المطلوبة ، ولـــم يشترك سوى ١٢ رسامًا فقط ، قدموا رسوماتهم التى فجـــرت غضـــب المسلمين فى كل بقاع الأرض .

نشرت هذه الجريدة اليمينية التوجه وصاحبة أكبر توزيع لصحيفـة يومية دانماركية ١٢ رسمًا كاريكاتيريا لرسم ما يتصور أنه نبى الإسلام فى سبتمبر ٢٠٠٥ ، وبالطبع كانت هذه محاولة جس نبـــض أو قيـــاس لمدى انتشار مفهوم الرقابة الذاتية التى ثارت حولها كل هذه الضجـــة . نشرت هذه الرسوم فى ملخص الجريدة الثقافى بعيدًا عن نشر أى صور، أو حتى التنويه عن الموضوع على غلاف الجريدة ، وقد نشر المقـــال بعنوان وجوه محمد وحمل تصميم الصفحة ١٢ رسمًا ملونًا تحيط بمقال صغير يحمل هذه المعانى ، إن بعض المســـلمين يرفضـــون المجتمـــع المدنى المعاصر ، حيث يجب أن يستعد الإنسان دومًا لتحمل الســـخرية

والاستهزاء والنقد ، ولا يعني هذا أن المشاعر الدينية يجب أن تجـرح على الدوام ، ولكننا لا نعرف حقًا إلى أين تتجه بنا الرقابة الذاتية ، هل سيستمر خنق الإبداع بسبب الخوف أم لا ؟

أما مضمون الصور وأشكالها كما رسمها الكاريكاتير الدانماركى فهى كالآتى :

١ - رسم صورة فيها نجمة خماسية إسلامية خضراء هى محل عينه اليمنى بينما لحيته هلال أخضر اللون ليكون مع النجمة الشعار الإسلامى الشهير .

٢ - رسم صورة شخص يلبس عمامة أعلاها قنبلة على وشك الانفجار كتب على القنبلة الجزء الأول من عبارة (لا إله إلا الله) .

٣ - رسم صورة أسطورية من ألف ليلة وليلة لشخص يحمل فوق رأسه علامة القديسين غير مكتملة ، تشكل هلالين صغيرين يحاولان الوصول إلى بعضهما ، وهى تشبه القرون فوق الرأس (يريدون بذلك أنه ﷺ يحاول صنع هالة مقدسة ولكنه لا يستطيع) .

٤ - رسم كروكى لنساء محجبات يتكون وجه كل منهن من نجمة داود الخماسية ، يكتب أمامها تعليق يفيد أنه مجنون يضطهد النساء ويحبسهن .

٥ - رسم صورة لشخص يلتفت يمينًا ويسارًا يتصبب عرقًا من الخوف.

٦ - رسم صورة لرجل بدوى يسير فى الصحراء فى يده اليمنى عصاه، ويجر حيوانًا فى يده اليسرى .

٧ - رسم صورة لشخص يقف فى السماء ويحاول منع انتحاريين نفذوا عملياتهم للتو ، أملاً فى دخول الجنة متعللاً بنفاذ الفتيات العذارى من الجنة .

٨ - رسم صورة لشخص فوق رأسه عمامة أعلاها برتقالة .

٩ - رسم صورة رجل عنيف يحمل خنجرًا ويحرس امرأتين منقبتين .

١٠ - رسم صورة لشخص يبدى نوعًا من السخرية لردود أفعال الآخرين، وكذلك الرسوم الأخرى التى يصور فيها أشخاص بشكل بشع، كأنهم يعيشون فى القرون الوسطى .

وعندما بدأت الصحيفة نشر هذه الرسومات بدأ عدد من السفراء العرب فى التحرك ، واجتمعوا بشكل غير معلن ، واتفقوا على القيام بخطوة جماعية ، ولم يقتصر الأمر على السفراء العرب ، بل كان معهم سفراء دول إسلامية مثل تركيا والبوسنة ، وقرروا توجيه خطاب إلى أندروز فوج راسموسن رئيس وزراء الدانمارك .

وفى هذا الخطاب لفت نظر سفراء الدول الإسلامية نظر رئيس الوزراء الدانماركى إلى خطورة هذه الرسومات المسيئة على مشاعر المسلمين ، وأشاروا له أن هذه الرسومات لم تكن الأولى ضد الإسلام ، بل إن هناك اتجاهًا عدائيًا متناميًا تجاه المسلمين .

كما ذكروا ما أذاعته محطة راديو (هولجر) الدانماركية من تصريحات عنصرية ضد المسلمين .. وقد طلب هؤلاء السفراء مقابلة رئيس الوزراء الدانماركى لمناقشة هذا الموضوع ، وفتح حوار حوله ، [illegible]

سوف تحدث ردود فعل خطيرة ، وتثير مشاعر المسلمين وكان رد رئيس الوزراء على السفراء العرب بقوله : أنه لا يستطيع اتخاذ أية خطوة ضد حرية الصحافة فى الدانمارك .

كيف اشتعلت الأزمة وتفجرت :

اشتعلت الأزمة وتفجرت حينما أعيد نشر هذه الرسوم البذيئة فى صحف دانماركية فى فبراير ٢٠٠٦ ، وصحف أوربية أخرى نشرت نفس هذه الرسوم ، منها صحيفة فرانس سوار الفرنسية وصحيفة بليك السويسرية ، وغيرها فى إيطاليا وألمانيا والمجر والنرويج ، وقد بدأت الجاليات الإسلامية وخاصة الجالية الإسلامية فى الدانمارك فى السعى للحصول على تأييد الدول الإسلامية ، وسافر منهم وفود إلى هذه الدول ومنها مصر يحملون ملفات لهذه الرسوم البذيئة عن الرسول ﷺ ، ورسومات أخرى لم تنشر منها رسومات تصور الرسول ﷺ على شكل خنزير ، وقاموا بإرسال هذه الصور إلى المراكز الإسلامية فى جميع أنحاء العالم ، وبدأت الرسوم تظهر فى مواقع الصحف الأوربية على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت ، وقامت بعض الصحف العربية بنشر بعض هذه الرسوم مما أجج الموقف وأشعل الأزمة .

لكن بعد هذا العرض وهذه المقدمة ، ما هى أصداء ردود الفعل فى الصحافة المصرية تجاه هذه الرسوم المسيئة للنبى ﷺ ؟

هذا ما يجيب عليه البحث فى صفحاته التالية :

لقد نقلت الصحف أخبار التظاهرات فى كافة أرجاء الدول الإسلامية من أندونيسيا وفلسطين وتركيا ومصر . . . إلخ . وتتابعت

بالكلمة والصورة ثورة الغضب ، التى اجتاحت العالم الإسلامى ضد الرسوم المسيئة للرسول ﷺ ، وقدمت ما قام به المتظاهرون من نداءات واحتجاجات وثورات أطاحت بمبنى السفارة الدانماركية فى بعض البلاد الإسلامية كبيروت ودمشق . (الأهرام والأخبار ٣ فبراير ٢٠٠٦) .

كانت موجات الغضب الشعبية قد عمت عواصم الدول الإسلامية والعربية ، وكان أشدها فى فلسطين حيث اعتصم مسلحون فلسطينيون أمام مقر الاتحاد الأوربى فى غزة ، وهددوا بإغلاقه ؛ احتجاجًا على الرسوم الكاريكاتيرية التى تسئ إلى الرسول ﷺ ، وهددت لجان المقاومة الشعبية ، وكتائب شهداء الأقصى بهدر دم رعايا النرويج فى عدد من الدول العربية والإسلامية وخاصة بعد قيام عدد من الصحف الأوربية فى فرنسا وأسبانيا وألمانيا وإيطاليا بإعادة نشر هذه الرسوم فى شكل من أشكال التحدى السافر .

كما نشرت الصحف المصرية ردود فعل المظاهرات الغاضبة التى خرجت فى مدينة القاهرة من أمام الجامع الأزهر وفى الإسكندرية؛ احتجاجًا واستنكارًا لحملة الإساءة للرسول الكريم ﷺ والإسلام ، وقد ندد فيها المتظاهرون بتلك الرسوم المسيئة للرسول ﷺ ، وأكدوا رفضهم لكل أنواع التعاون مع تلك الدول التى أساءت للرسول ﷺ وعلى رأسها الدانمارك ، كما جددوا الدعوات لمقاطعة البضائع والسلع الدانماركية ، وكل الدول التى تسئ إلى الإسلام والمسلمين .

وقدمت الصحافة المصرية التقارير الصحفية والصور للمتظاهرين فى كافة أرجاء العالم الإسلامى. وعكست الصحافة نبض الشارع المسلم،

ونقلت كافة مظاهر الاحتجاج فى العواصم العربية وفى غيرها من المدن الكبرى .. وفى الأندية والنقابات والهيئات والجماعات . (أخبار اليوم ٤ فبراير ٢٠٠٦) .

وقد قامت جريدة الجمهورية فى ٣ فبراير ٢٠٠٦ بحملة واسعة النطاق لمقاطعة السلع الدنماركية رداً على التطاول البذئ على شخص النبى محمد ﷺ ، وتجاوب معها الشارع المصرى كما ترددت صدى حملة المقاطعة إلى كافة الدول العربية وأشادت الجماهير والمفكرون والفئات المختلفة أن الحملة تطبيق عملى وواع لدور الصحافة فى المجتمع والحفاظ على القيم ، وأن أسلوبها الحضارى قوة ردع هائلة لمن يفكرون الآن ، وفى المستقبل فى الخروج على القواعد الأخلاقية ، وأسس ومبادئ القانون الدولى فى احترام الأديان ، وطالب الجماهير بالإعلان عن أسماء المنتجات الدانماركية ، وتوسيع قاعدة المقاطعة إلى السلع الفرنسية والإنجليزية والإسرائيلية أيضًا كرد فعل قوى ضد الهجمات التى تسيئ إلى الإسلام .

وأمام ضغط الاحتجاجات والمظاهرات وأحداث العنف والمقاطعة للسلع الدانماركية التى عمت البلاد الإسلامية ، اضطرت الجريدة الدانماركية إلى تقديم اعتذار على لسان رئيس تحريرها على شبكة الإنترنت وقد نشرته جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ٧ فبراير ٢٠٠٦ على صفحة كاملة جاء فيه : أن الصحيفة الدانماركية يولاندز بوستن تؤمن بحرية الانتماء الدينى وتحترم كل فرد وتعتذر عن سوء التفاهم الكبير ، الذى حصل حول الرسومات التى شبهت الرسول الكريم

محمد ﷺ وأدت إلى نمو مشاعر العداء للدانمارك والدانماركيين ، كما ذكر رئيس تحرير الصحيفة كارسين بوسته أن هذه الرسوم ١٢ لم يكن القصد منها النيل من شخصية النبى محمد ﷺ بتاتًا ، أو الحط من قيمته، بل كانت مدخلاً للحوار حول حرية التعبير عن الرأى . . . ونحن لم ندرك حساسية المسألة للمسلمين . . لكن هذه الرسومات أساءت كما يبدو إلى ملايين المسلمين فى كل أنحاء العالم ، ولذلك نقدم أسفنا العميق واعتذارنا ، لأن هذا بعيد كل البعد عن قصد الصحيفة .

كما قدمت الحكومة الدانماركية اعتذارها وأنها تحترم الإسلام أحد الأديان الرئيسية فى العالم ، وأن النبى محمد من الشخصيات الدينية العظيمة في تاريخ البشر ، وليس للحكومة الدانماركية أية رغبة أو جدول أعمال لإهانة المسلمين ، أو التهكم عليهم أو التصرف بقلة احترام بأى طريقة أخرى ، وأن حرية ممارسة الأديان فى الدانمارك ممنوحة للجميع ، وأن الدانمارك لها علاقات ودية مع العالم الإسلامى ترغب الحكومة فى تقويتها فى المستقبل .

ولكن مع هذا الاعتذار لم تتوقف الاحتجاجات والمظاهرات والتنديدات فى معظم البلاد الإسلامية بدليل الأنباء والتقارير الصحفية التى قدمت بعد هذا التاريخ لتواصل المظاهرات والاحتجاجات وأعمال الشغب وحملات المقاطعة .

ولقد حاولت الصحف المصرية بكافة اتجاهاتها ومستوياتها تفعيل المقاطعة ونقل نبض الجماهير ، وما يدور فى الشارع المصرى والعربى والإسلامى ، ونشرت أسماء السلع والمنتجات الدانماركية التى

يجب مقاطعتها ، والتعليقات والصور والرسوم التى كتبت على محـلات السوبر ماركت مثل شاركونا فى مقاطعة السلع الدانماركية ، وألـــهبت حماس الجماهير وشجعتهم على مواصلة المقاطعة (١) .

كما عكست الصحف المصرية مظاهر الاحتجاج التى تجددت فــى مصر والعالم الإسلامى،كرد فعل على نشر الصور المسيئة للرسول ﷺ، ونقلت ما بثته وكالات الأنباء العالمية عن خروج آلاف المصلين فى شوارع ماليزيا وأندونيسيا واليمن وغيرها بعد صلاة الجمعة ١٠ فبراير ٢٠٠٦ للمطالبة بمعاقبة الدانمارك ، وكل المسئولين عن نشر هذه الرسوم(٢) .

يقول صلاح منتصر فى عموده (مجرد رأى) نعم من حقنـــا أن نقاطع السلع الدانماركية وسلعًا لدول أخرى ، فالمقاطعة سلاح مشــروع ومعترف به دوليًا .. ومن الطبيعى أن نغضب ونثور على ما تتعــرض له مقدساتنا الدينية من تطاولات . . (٣) .

وأكدت صحيفة الجمهورية على المقاطعـــة الشــعبية للمنتجــات الدانماركية حيث تعد سلاحًا حضاريًا ناجحًا للانتصار لديننا وقضايانـــا ، وأشارت أنه لا يستطيع أحد أن يلومنا عليه أو يتذرع بالاتفاقات التجارية الدولية ليثنينا عن عزمنا ، ولكى تكون المقاطعة سلاح فعـــال لابــد أن تكون ذكية ورشيدة ومحسوبة حتى نبتعد عن الشـــركات والصناعــات المصرية ، حتى ولو كانت تحمل أسماء أو علامـــات تجاريـــة لـــهذه الشركات الأجنبية ، فلاشك كما يشير أ. مصطفى زكى رئيـــس شـــعبة

---

(١) الجمهورية والأهرام والأخبار ٨ ، ٩ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) أخبار اليوم ١١ فبراير ٢٠٠٦ .

(٣) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٩ .

المستوردين باتحاد الغرف التجارية ، أن مقاطعة دولة ما من قبل عشرات الدول الإسلامية مجتمعة تضم مليار وربع من البشر أى ٢٠% من سكان الأرض ، تمثل كارثة اقتصادية على الدولة المقاطعة .

ويؤكد د. حمدى عبد العظيم أستاذ الاقتصاد أنه لابد من استخدام سلاح البترول ، ومنع صادراته إلى الدانمارك أو النرويج ، أو أية دولة تعيد نشر هذه الرسوم المسيئة للرسول ﷺ وشدد على أن تكون المقاطعة الشعبية متحضرة ومنظمة للدفاع عن الدين والقضايا الوطنية ، وهى تغنى عن أعمال العنف مثل حرق السفارات والأعمال الأخرى غير الحضارية ، التى تسئ إلى صورة المسلمين فى العالم ، وتؤلب عليهم الشعوب الأخرى ، فهذه المقاطعة لو نجحت ستثبت للعالم أن المسلمين أقوياء ولديهم أوراق وأسلحة فعالة لمساندة قضاياهم(١) .

وصرح شيخ الأزهر باسم المؤسسات الدينية وعلى رأسها الأزهر الشريف عن مقاطعة جميع الدول المسيئة للنبى ﷺ والأديان ، بالإضافة إلى مقاطعة الدول التى رضيت بما فعله الغربيون ، لأن مقاطعتها فرض علينا ، لأننا نحب نبينا وهذا أبسط تعبير(٢) .

ويبدو أن سلاح المقاطعة كان أكثر الأسلحة لمواجهة هذه الأزمة فلقد أدت المقاطعة إلى إغلاق وتشريد ٣٠ ألف موظف ، واضطر صاحب مصنع ألبان دانماركى برفع دعوى ضد الصحيفة الدانماركية التى نشرت الرسوم للضرر الذى لحق به ، حيث أشار صاحب مصنع (لاهور)الدانماركى للألبان فى السعودية إلى أن استمرار المقاطعة يعنى

---

(١) الجمهورية ٩ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) صوت الأزهر ٢٠٠٦/٢/١٠ .

تحقيق خسائر تقدر بنحو مليون وثمانمائة ألف يورو يوميًا لهذا القطـــاع وحده ، وفقدان أكثر من ٣٠ ألف وظيفة . مما دعا شركة (لارا) لرفع دعوى ضرر على الصحيفة فى المحاكم الدانماركية، كما قـــام وزيـــر الزراعة الدانماركى بالاجتماع مع نقابة المزارعين لمناقشة القضيـــة . . وتقرر إرسال اعتذار إلى جميع وزراء الزراعة فى الدول الإسلامية[١].

ومع تواصل حملات المقاطعة والمظاهرات الحاشدة، والاحتجاجات على المستوى الرسمى والشعبى ، وردود الفعل العنيفة فـــى باكســـتان وتركيا والهند وغيرها التى نددت بالدانمارك ، وبـــالرئيس الأمريكـــى جورج بوش وأحرقوا دمية له ، كمـــا نـــددوا بإســـرائيل ، وامتـــدت المظاهرات إلى دول أفريقية كنيجيريا وإلـــى دول أوربيـــة كالنمســـا ، وبعض البلاد الأوربية الأخرى احتجاجًا على الرسوم المسيئة للرســـول ﷺ [٢] . كل هذا أدى إلى تقديم اعتذار مرة أخرى من رئيس تحريـــر الصحيفة الدانماركية بصيغة جديدة باللغة العربية ، وجاء فيه : " أعلـــن اعتذارى لما حدث وأعلن استنكارى الشديد لأية خطوة تستهدف النيـــل من الأديان قوميات وشعوب معينة " .

جاء ذلك فى الوقت الذى منحت فيه الصحيفة أجازة (لفيلمنج روز) المسئول عن صفحتها الثقافية والذى نشر الرسوم الكاريكاتيرية [٣] .

لقد نجحت المقاطعة والمقاومة فى إجبار الصحيفـــة الدانماركيـــة على الاعتذار كما أجبرت رئيس الوزراء الدانماركى على الرجوع عن

---

(١) مجلة أخر ساعة ٢٠٠٦/٢/٨ .

(٢) الأهرام ١٠ فبراير ٢٠٠٦ .

(٣) أخبار اليوم ١١ فبراير ٢٠٠٦ .

موقفه الذي كان يرفض فيه مقابلة عدد من السفراء العرب والمسلمين ، الذين طلبوا مقابلته للاحتجاج على نشر الرسوم المسيئة للرسول الكريم ﷺ ، لقد قابلهم بعد المقاطعة وأصدر بيانًا أعلن فيه ترحيبه باعتذار الصحيفة وأسفه عما أصاب المسلمين من هذه الرسوم ، وأنه على المستوى الشخصي يكن احترامًا لعقائد الآخرين ، وطالبت الصحف المصرية من خلال آراء الكتاب والمفكرين إلى الدعوة إلى الحوار عبر وسائل الإعلام والقنوات الفضائية بلغات الآخرين إنجليزية وفرنسية وألمانية وغيرها [١] .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١١ .

الفصل الثانى

موقف الصحافة الغربية

موقف الصحافة الغربية

ورغم تبرؤ رئيس تحرير الجريدة الدانماركية من الجريمة التي فعلتها صحيفته في حق رسول الله ﷺ واعتذاره ومحاولته إزالة سوء الفهم – كما يدعى – واستنكاره لأية خطوة تستهدف النيل من أديان أو قوميات أو شعوب .

ورغم تصاعد حدة الاحتجاجات الواسعة النطاق في العالم الإسلامي على نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ في الصحيفة الدانماركية ، فقد أعادت عدة صحف أوربية نشر تلك الرسوم التي تسببت في تفجير الغضب في نفوس كل المسلمين في العالم الإسلامي ، تحت دعوى حرية التعبير .

فقد أعادت صحيفة (فرانسو سوار) الفرنسية والتي يملكها رجل الأعمال المصري رامي لكح نشر تلك الصور المسيئة وقالت الصحيفة التي تعمدت استفزاز مشاعر المسلمين : أن هذه الرسوم (١٢) قد تبدو بدون قيمة ، ولا تنم عن ذوق رفيع ومهينة ووقحة ، لكنها أضافت أن نشرها كان يهدف إلى اختبار حرية التعبير في الدانمارك ، ونددت بما وصفته بعدم التسامح من قبل منظمات دينية إسلامية ، ووزراء داخلية الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، بسبب احتجاجهم على الرسوم ، وأضافت الصحيفة : " لن نعتذر أبدًا لأننا أحرار في التحدث والتفكير والاعتقاد ، ويحق لنا رسم صور كاريكاتيرية لمحمد ويسوع

المسيح وبوذا ويهوذا [١].. وهذا يسمى حرية التعبير فى بلد علمانى " !! وأوضحت الصحيفة الفرنسية أنها اختارت نشر هذه الرسوم التى تثير جدلاً متصاعدًا منذ ظهورها فى الدانمارك ، ليس بهدف الاستفزاز بل لأنها تشكل موضوع جدل على نطاق عالمى واسع ، محوره التوازن والحدود المتبادلة فى مجال الديمقراطية ، واحترام المعتقدات الدينية وحرية التعبير [٢] .

وفى موضع آخر ذكرت جريدة (فرانس سوار) الفرنسية أن اختيار نشرها قد جاء لأن بعضها طريف معتبرة أن لها الحق فى رسم صورة كاريكاتيرية لله سبحانه وتعالى !! فى تجرؤ غير معهود على الوحدانية ، وزعمت أن الرسوم الكاريكاتيرية المنشورة لا توجد بها أى إيحاءات عنصرية أو المس بشرف أى معتنق لدين [٣] .

وقد سارع صاحب (فرانس سوار) رامى لكح إلى فصل رئيس التحرير وتقديم اعتذار لكل المسلمين على ما ارتكبته صحيفته فى حقهم وحق سيدنا محمد ﷺ ، رغم أن هذه الإقالة لرئيس التحرير أثارت غضب الكثيرين من السياسيين ، وحماة حرية الفكر من الفرنسيين بصفة خاصة والأوربيين بصفة عامة [٤] .

ولأن الحقد الصليبى على الإسلام والمسلمين يجد صداه فى تلك الدوائر المعادية للإسلام ، فقد اشتركت صحف غربية كثيرة فى حملة

---

(١) أخبار اليوم ١١ فبراير ٢٠٠٦ .
(٢) الأخبار ، الأهرام ٢ فبراير ٢٠٠٦ .
(٣) الدستور ٦ فراير ٢٠٠٦ .
(٤) أخبار اليوم ٤ فبراير ٢٠٠٦ .

الإساءة إلى النبى ﷺ ومناصرة الصحيفة الدانماركية ، كالصحف النرويجية والهولندية والأسبانية والإيطالية ، بزعم الدفاع عن حرية الصحافة، ودعت هذه الصحف إلى عدم تقديم اعتذار عن هذه الرسوم[1].

وقد راحت صحيفة (دى فيليت) الألمانية تنشر أربعة من هذه الرسوم المسيئة للنبى محمد ﷺ أحدها تصدر صفحتها الأولى قائلة بشكل مستفز : " إن احتجاج المسلمين كان يمكن أن يؤخذ على محمل أكثر جدية لو كانوا هم أقل نفاقًا " .

هكذا راحت الصحيفة الألمانية تشن هجومًا على المسلمين الغاضبين والمجروحين فى عقيدتهم بعد الهجوم البذئ على النبى محمد ﷺ ، وعلى نفس الخطى سارت جريدة (لاستامبا) الإيطالية لتعيد رسم الصور البذيئة ٢ فبراير ٢٠٠٦ ، بينما سبقتها صحيفة (كوريرا ديلاسيرا) بنشر ذات الرسوم فى ٦ فبراير ٢٠٠٦ .

وفى سويسرا نشرت صحيفة (بليك) فى ٧ فبراير ٢٠٠٦ رسمين من الرسوم المسيئة للنبى ﷺ ، فيما نشرت صحيفة (تريبيون دى جنيف) نفس الصور البذيئة فى عددها الصادر ٢ فبراير ٢٠٠٦ وقال رئيس تحريرها فى تعليق له فى عدد ٧ فبراير أن هذا النزاع بمثابة إيضاح للتصادم بين ثقافة علمانية بدرجة كبيرة كالتى نعيشها ، وثقافة أخرى الدين محورها " .

وأضاف يمكنك أن تتفهم مشاعر المسلمين، ولكننا فى دولة تعددية حيث نملك الحق فى أن ننشر ذلك ، وفى هولندا قال (آرى ألشوت)

---

(١) الأهرام ٤ فبراير ٢٠٠٦ .

نائب رئيس تحرير صحيفة (فونكس كرانك) [illegible] أن صحيفته نشرت هذه الرسوم في [illegible] ٢٠٠٦ ورغم أن النشر يستهدف توضيح [illegible] وجود رد فعل سلبى على ما نشرته الصحيفة ، [illegible] تلك الصحيفة فى افتتاحيتها الاحتجاجات التى شنها المسلمون فى أنحاء العالم ، بأنها مسألة خسيسة تنعكس بشكل سئ على الدول التى لم تؤيد الدانمارك (١).

ويؤكد سمير رجب فى صحيفة (الجمهورية) أن إعادة نشر الصحف الغربية الرسوم البذيئة التى نشرتها الصحيفة الدانماركية ، فيه دلالة قوية على أن الحملة مدبرة وعامة وشاملة ، وأنها بدأت منذ أحداث ١١ سبتمبر فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وكل هؤلاء الذين دخلوا حلبة الشتم والقذف والتهكم للمسلمين، ليسوا سوى أدوات رخيصة يستخدمها البعض بهدف ضرب أسمى القيم ، وأرقى السلوكيات التى يعجزون عن فهمها(٢) .

وتجدر الإشارة إلى أن صحف بريطانيا كان لها مواقف مختلفة فبعضها شارك فى حملة الإساءة إلى النبى ﷺ ، وبعضها استنكرها . فقد شاركت صحيفة الديلى تلجراف فى حملة التهكم والاستهزاء بالمسلمين فقد كتب ستيفن بولارد كلامًا فجا ينم عن جهل مطبق بحقائق الدين الإسلامى ، فضلاً عن كراهية باتوا لا يستطيعون إخفاءها ، فأخذت تعكس ما تطويه قلوبهم المريضة من حقد وغل . لقد ذكر بولارد من بين ما ذكر أن فكرة وجود ٧٦ حورية تنتظر المفجرين

---

(١) الأسبوع ٦ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) الجمهورية ٢ فبراير ٢٠٠٦ .

أنفسهم تثير الانزعاج والضحك .. ثم يضيف إذا كانت حرية التعبير تعنى أى شئ فهى تعنى بكل التأكيد القدرة على إثارة التساؤلات حول الاعتقاد بأن النبى محمد ﷺ يكافئ الجهادين " (١) .

إلا أن صحيفة الجارديان البريطانية كان لها موقف آخر تجاه الرسوم المسيئة للنبى ﷺ عبر عنه الكاتبان فيليب هينشر وجارى يونج اللذان كتبا مقالاً اعترفا فيه : أن الصحيفة الدانماركية (يولاندز بوستن) أخطأت وأكدا أن الهجوم على الإسلام فى الصحيفة المذكورة لم يكن مصادفة ولا جهل من الرسامين الذين أقدموا على هذه الفعلة الشنعاء ، فالرسم المسئ للرسول ﷺ يمثل إساءة لكل المسلمين ، وإساءة لكل من يحترم الأخلاق والقيم . . وأن غضبة المسلمين فى كل مكان تجاه هذه الصحيفة لها ما يبررها (٢) .

وقد أكدت صحيفة لوتان السويسرية الناطقة بالفرنسية أن حرية التعبير والصحافة لا تعنى حرية الإهانة ، ونشرت صحيفة لاتريبيون دى جنيف أن الرسوم التى نشرت فى الدانمارك خطيرة ومضرة فى نفس الوقت ، لأنها تعمل على إذكاء الكراهية ضد المسلمين وتعميق عدم التفاهم بين الناس ، وأكدت الصحيفة أن كل المسلمين يكنون احترامًا كبيرًا للنبى محمد ﷺ وأن نشر الرسوم المسيئة من قبل الصحافة هو بمثابة انحراف واستفزاز ، ووسيلة من وسائل نسف الحوار المتعثر بالفعل بين المسلمين والغرب (٣) .

---

(١) الجمهورية ٢ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) الأهرام ٩ فبراير ٢٠٠٦ .

(٣) أخبار اليوم ١١ فبراير ٢٠٠٦ .

كما أكدت الصحيفة السويسرية رفض رجـــال الديـــن المســـيحى الكاثوليكى والبروتستانتى ، وذكرت أن من غير المعقول حتى من وجهة نظر حرية التعبير والصحافة المساس بالمعتقدات ، حتى رجـــل الديـــن اليهودى فرانسوا جارى صرح: أنه يجب الانزعاج من هذه الصور ، وعبر أكبر رسامى الكاريكاتير فى سويسرا جيرالد هيرمان أن هذه الرســـوم تتضمن أخطاء مهنية للقوانين والأعراف الدينية والفكاهية أيضًا (١) .

والجدير بالذكر أن الصحافة الأمريكية قد اتسمت معالجتها بالكثير من الموضوعية !! فى التعامل مع أزمة الرسوم المسيئة للنبى ﷺ فـــى الصحف الدانماركية .

فعلى خلاف الكثير من الصحف الأوربية التى ادعت أن الأمر فى حد ذاته يعد نوعًا من حرية التعبير ، وهذا مكفول فى الدساتير الأوربية المختلفة ، وجدنا صحفًا مثل واشنطن بوست تنشـــر تصريحـــات عـــن المسئولين الأمريكيين ومنهم كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية يؤكدون أن ما حدث يعد إساءة .

كما أفردت واشنطن بوست عدة مقالات تتحـــدث عـــن أن تلـــك الرسوم المسيئة للرسول الكريم ﷺ أدت إلى خسائر كبيرة فى الاقتصـــاد الدانماركى ، لأن العديد من الشركات فى الدول الإسلامية قـــررت أن تقاطع المنتجات الدانماركية كرد فعل على الإساءة للرسول الكريم ﷺ .

ولم تنزلق معظم الصحف الأمريكية الكبرى فى وصف ما حـــدث بأنه حرية تعبير مكفولة ، ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية تنـــادى منذ زمن بأنها منبر الحرية فى العالم والمدافـــع عنـــها . فـــالصحفيون

(١) أخبار اليوم ١١ فبراير ٢٠٠٦ .

الأمريكيون ربما أصبحوا أكثر دراية من غيرهم من الأوربيين بالمزاج الإسلامى والعربى فى الآونة الأخيرة ، خاصة وأن الاهتمام الكبير فى تلك الصحف ينصب بشكل كبير على الشرق الأوسط ، أو الدول الإسلامية ، كماأنهم على دراية أيضًا باستطلاعات الرأى الموجودة فى الشرق الأوسط ، والتى تشير إلى تنامى السخط إزاء الولايات المتحدة الأمريكية ، وبالتالى ربما تكون مدى الحساسية تجاه الحديث عن المقدسات الإسلامية متوافرة أكثر فى الولايات المتحدة عن أوربا . وهذه السمة لم تكن واضحة فى الصحف فحسب ، بل أيضًا فى معظم معالجة شبكات التلفزيون الأمريكية(١) .

وفى كندا احتجت مجلة ذا ستراند التى يصدرها طلاب جامعة تورنتو الكندية على نشر رسم كاريكاتيرى للنبى محمد ﷺ وهو يقبل يد يسوع المسيح (٢) .

وفى الحقيقة أن ما نشرته (يولاندز بوستن) الدانماركية ومن بعدها العديد من صحف الغرب بمثابة ترجمة للعداء الذى يكنه الغرب للإسلام والمسلمين ، وعلى الرغم من أن قضية حوار الحضارات كانت بمثابة نقطة دائمة على جدول أعمال لقاءات العرب والمسلمين بالغرب، إلا أن كافة تلك الحوارات لم تنزع الكراهية الدفينة فى الجسد الغربى ضد الإسلام والمسلمين . فهناك إصرار متعمد خاصة فى أمريكا وأوربا على تصعيد الكراهية والعداء لكل ما هو عربى ومسلم ، وكلما حاول المسلمون والعرب معالجة هذه الحالة العدائية الغربية من خلال حوار

---

(١) الأهرام العربى ٢٥ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) الأهرام ٢ فبراير ٢٠٠٦ .

حضارى ، ومن خلال دعوات التعاون البناء والتأكيد علـــى الحـــرص على الأنبياء والمرسلين للأمم كافة ، وإطلاق دعواتهم المتواصلة حـول الحوار الهادئ لتوضيح الصورة ، وإزالة الشكوك الملتبسة لدى دوائـــر بعض الغرب ، إلا أن الدوائر الحاقدة والمعادية لكل ما هو مسلم ظلـت تتربص بالعرب والمسلمين ، وتطلق أسهمها المسمومة عبر موجات من الكراهية تنتجها وسائط الاتصال الغربية ، من خلال تصديـــر الأفـلام والمسلسلات والكتابات الساقطة والرسوم واللوحات والـــبرامج ، التـــى تحمل تشويهًا متعمدًا لصورة الإسلام والمسلمين فى الغرب ، وتقدمـــهم بصورة الإرهابيين الذين لايزالون يعيشون فى الصحـــراء وينتظـــرون الفرصة المناسبة لإبادة الجنس الغربى .

تلك هى الثقافة السائدة فى الغرب منذ قديم الزمان، فهذا مارتن لوثـر مؤسس كنيسة البروتستانت يصف تعاليم الإسلام بأنها سموم شـــيطانية ويقول عن محمد ﷺ إنه صائد المومسات الدائر فى فلك الشيطان ، وقد هاجم القرآن ذاته واتهمه بأنه مملوء بالأكاذيب والخرافات، وقد لخـص المستشرق وات هذه الصورة المشوهة للإسلام عند الغربيين كما يلى :

١ - أن الإسلام دين كاذب وتحريف مقصود للحقائق .

٢ - أن الإسلام دين التهالك على الشهوات الجنسية .

٣ - أن محمدًا ﷺ قد اتبع الشيطان وسار فى فلكـــه وأنـــه هـــو المسيخ الدجال .

٤ - أن الإسلام دين العنف والسيف[١] .

---

(١) جريدة الأسبوع ٦ فبراير ٢٠٠٦ ، مقال بعنوان " لماذا يكرهون نبى الرحمة " للشيخ السيد عبد المقصود عسكر .

ولعلنا نذكر فى هذا السياق ما قام به الأستاذ العقاد فى ردوده على افتراءات وأباطيل الأوربيين فى كتب منها كتاب " ما يقال عن الإسلام "، الذى رد فيه على خمسين كتاب تناولت الإسلام ونبيه الكريم بصـــورة مسيئة ، أو كتابه " حقائق الإسلام وأباطيل خصومه " ، الذى أكد فيه أن خصوم الإسلام لا يكتفون بالخصومة بل يؤكدونها بالأباطيل متجـاهلين أكبر الحقائق ، أو كتابه " الإسلام دعوة عالمية " ردًا على الكتابات التى اتهمت الإسلام بالتخلف والجمود، مؤكدًا أنه لا يوجد فى صحيح الإسلام شيئًا من ذلك ، وأثبت بالحجة والبرهان والدليل أن فى الإسلام دعـــوة عالمية تصلح لـكل زمان ومكان ، ولنذكـــر هــذه الدعــوة العلميـــة المستنيرة التى نهض بها الدكتور طه حسين ونفر من الـــرواد لإعـــادة كتابة التاريخ الإسلامى بصورة يتقبلها القارئ المعاصر عربيًا كـــان أو أجنبيًا ، ولنتذكر الأستاذ توفيــق الحــكيم على بذاءات الكاتب الفرنسـى " فولتير " حين استهدف النبى الكريم ﷺ بالتهجم والتطاول فى مسـرحية له ، كان قد كتبها عنه . وكان رد الحكيم من جنس عمل " فولتير " حين كتب مسرحيته " محمد رسول البشر " مدحضـــا ادعـــاءات وأبـــاطيل فولتير(١) .

ومع أن هذه الأباطيل لا تصمد أمام البحث العلمى النزيه ، فمازال الغرب العلمانى يمضى على درب الحقد الصليبى القديم المعادى للإسلام ونبى الإسلام، ومازال الكيد الصهيونى هو المحرك الأول لتلك الحملات المتواصلة ضد الإسلام والمسلمين إلى يومنا هذا .

---

(١) الأهرام ٨ فبراير ٢٠٠٦ ، مقال بعنوان " حقائق تجهلها الصحيفة الدانماركيـــة عـــن الإسلام " سامح كريم .

ولاشك أن أى عاقل ومنصف متجرد عن الهوى يتأمل حياة محمد ﷺ ويدرس سيرته فى مصادرها الموثقة يظهر له بوضوح أنه أشـــرف الخلق وأطهرهم وأنقاهم .

ولقد شهد بذلك نفر غير قليل من علماء الغرب أنفسهم المنصفيـــن يقول المستشرق الفرنسى كلود كاهن الأستاذ فى جامعة السربون لا يليق بالمؤرخ المنصف أن يعير اهتمامه للاتهامات التى صدرت عن المهاترات الطائفية القديمة ، ولابد من أن يرى أن محمــدًا ﷺ كــان فــى عــداد الشخصيات النبيلة السامية التى ســـعت فـــى كثـــير مـــن الحمـــاس ، والإخلاص إلى النهوض بالبيئة التى عاش فيها أخلاقيًا وفكريًـــا ، كـــل ذلك يجعلنا نقول بموضوعية أيضًـــا أنـــه رغـــم الحمـــلات الظالمـــة والافتراءات الكاذبة ضد الإسلام والمسلمين فى الغرب ، والاعتـــداءات المتكررة والتطاول على نبى الإسلام ﷺ ، ورغم سعى بعض الغربييـــن لتشويه صورة الإسلام والمسلمين فى عقول أبنـــاء العـــالم الغربـــى ، باعتباره العدو الأول للحضارة الغربية - على حـــد زعمـــهم - إلا أن العدالة والإنصاف الموجودين أيضًا فى الحضارة الغربية يدعوان إلـــى إبراز الوجه المشرق للغرب الحضارى الذى تمثل فى العلماء الغربييـــن المنصفين الذين تحدثوا عن الإسلام فأنصفوه ، وشهدوا لـــه شـــهادات صدق ، ينبغى أن نستفيد منها ، وأن نقدمها للإنسان الغربى الذى ضلله الإعلام الغربى الذى يسيطر على معظم توجهاته الصهاينة .

إن المتأمل لما كتب وقيل عن الإسلام يدرك أنه لم تحـــظ ديانـــة سماوية فى التاريخ البشرى العريض بمثل ما حظى به الإســـلام مـــن الاهتمام والإشادة والتمجيد من كافة الأعـــراق والشـــعوب والطوائـــف

والملل ، وفى شتى اللغات، على الرغم من وجود من حاولوا الطعن فى الإسلام، والتشكيك فيه بسبب الحقد على الإسلام وإطباق الجهل بالإسلام على أصحابها والبعد عن الموضوعية العلمية فى البحث والتدقيق .

وذلك لأن هؤلاء المفكرين والمستشــرقين والفلاســفة الغربييــن المنصفين يمثلون كبار مفكرى الغرب وأعمدة الفكر والفلسفة فيه .

ومن بين المؤرخين والمستشرقين الأوربيين ممن قدموا شــهادات منصفة بحق الإسلام السير (توماس أرنولد) المستشرق البريطانى، الذى قدم دراسة موثقة لانتشار الإسلام انتهى فيها إلى القول : ولكننا لم نسمع عن أى محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبــول الإسلام ، أو عن اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المســيحى ، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التى أقصى بها (فرديناند وأزبيلا) دين الإسلام عن أسبانيا ، والتـــى جعل منها (لويس الرابع عشر) المذهب البروتستانتى مذهبًــا يعــاقب عليه متبعوه فى فرنسا ، أو بتلك السهولة التى ظل فيها اليهود مبعديــن عن إنجلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة ، ولهذا فإن مجرد بقاء الكنــائس حتى الآن ليحمل فى طياته الدليل القوى على ما قامت عليه سياســـات الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم .

ويضيف : وكان من نتائج غلبة التفاعل الإيجــابى مــع شــعوب الهلال الخصيب ووادى النيل والشمال الأفريقى ، كما مع من توافــدوا على هذه المناطق من خارجها، أن تبلورت مطلع القرن الثالث الهجرى، أواخر العاشر الميلادى ، أمة عربية ذات طبيعة تركيبية، تضم التنــوع

ضمن إطار الوحدة . وبالتالى ضم النسيج الاجتماعى العربى الأبيض والأسمر والأسود ، والمسلم والمسيحى واليهودى وتوافرت لغير المسلمين من المواطنين والوافدين فرص ممارسة حرياتهم الدينية والمدنية والمشاركة فى مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وبحيث كان لهم إسهامهم فى بلورة الثقافة العربية الإسلامية، كما لم ينغلق المجتمع العربى الجديد يوم ذاك على الذات ، وإنما كان له انفتاحه الواسع على الأنظمة الإدارية وعلوم وفلسفة فارس والهند واليونان ، واستيعاب ما اقتبسوه وتطويره ، وبذلك امتلكوا ناصية التقدم العلمى والثقافى نحو ثمانية قرون .

ونصل إلى شهادة عالم غربى مرموق يصفه البعض بأنه (حجة تخصصه العلمى ومكانته كبيرة بين علماء الاستشراق وفى الآثار العلمية التى أبدعها) . إنه العلامة والمستشرق الإيطالى (دافيد دى سانتيلانا) ، الذى يجزم بأن الإسلام دين ودولة ، دون أن تكون دولته كهانة كنيسة تحكم بالحق الإلهى كتلك التى عرفتها الحضارة المسيحية فى أوربا إبان عصورها الوسطى والمظلمة .

كما يجزم بأن الشريعة الإسلامية متميزة بالقانون الجامع بين الأحكام وبين منظومة القيم والأخلاق الدينية ، والرابط بين المنفعة والمصلحة الدنيوية وبين الدين والجزاء الأخروى .

ويقول : " إن الشريعة الإسلامية أعلنت رغبتها الصادقة فى مسايرة الطبيعة البشرية ، واستجابت إلى جميع حاجات الإنسان العملية فى الحياة ، ويقول أيضًا : " إن الشريعة الإسلامية تحبذ كل نشاط عملى

نافع ، فهى تشجع الزراعة والتجارة وكل أنواع العمل ، ولا تحتقر أى عمل متى أغنى صاحبه وكفاه ذل السؤال .

ثم تأتى شهادة غربية جديدة منصفة للإسلام وحضارته وثقافته ، ومؤكدة لصدقه ورقيه وتفوقه على الديانات الأخرى ، وصاحب هذه الشهادة أحد أعمدة الاستشراق المعاصر ، وكذلك أحد أعمدة الثقافة المعاصرة ، وهو المؤرخ والباحث الإنجليزى ، (منتجو مرى وات) .

ويقول (منتجو مرى وات) فى شهادته : " إن الإشارات القرآنية الخاصة بالعرب لا تنفى أنه عالمى النزعة ، أو ذو طبيعة عالمية ، فالقرآن يخاطب البشر عامة ، وليس الإنسان العربى فى الوسط الثقافى أو الحضارى العربى فحسب ، وتلك حجة قوية لأن الإسلام قد انتشر بالفعل انتشاراً واسعًا خارج نطاق الوسط الثقافى العربى الضيق أو الأصلى ، فاعتنقه أجناس مختلفة من أوساط ثقافية مختلفة " .

ويضيف (منتجو مرى وات) قائلاً: " إن رسالة الإسلام التى وجهت فى البداية لأهل مكة والمدينة كانت تحمل فى طياتها بذور العالمية أو أنها كانت منذ البداية أو منذ مضمونها الأول ذات أبعاد عالمية " .

شهادة جديدة لواحد من أعلام المستشرقين الألمان الذين مثلوا - إلى جانب المكانة المرموقة فى الثقافة الغربية - حجة فى الدراسات الاستشراقية بالدوائر الغربية ، وهو المستشرق العلامة (شاخت) الذى يشهد على تميز الإسلام بأنه دين ودولة ، وعلى تميز الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامى بالشمول ، وعلى الوحدة والتنوع فى الفقه الإسلامى ، وعلى قوة تأثيرات الفقه الإسلامى فى الثقافات القانونية التى جاورته ، أو اتصلت به أو انفتحت عليه .

يقــول (شاخت) فى شهادته : " إن الشريعة الإسلامية من أبرز ما يميز أسلوب الحياة الإسلامية، وهى لب الإسلام..والخاصية الرئيسية التى تجعل التشريع الإسلامى على ما هو عليه ، وتضمن وحدته مع كل ما فيه من تنوع هى نظرته إلى جميع أفعال البشر وعلاقاتهم ببعضـــهم البعض – بما فى ذلك ما نعتبره – على أساس المفاهيم التالية: الواجب، والمندوب ، والمتروك ، والمكروه ، والمحظور " .

ويقول (شاخت) أيضًا : " إن الشريعة الإسلامية تختلف اختلافًـا واضحًا عن جميع أشكال القانون .. إنها قانون فريد مـــن بابـــه .. إن الشريعة الإسلامية هى جملة الأوامر الإلهية التى تنظم حياة كل مســـلم من جميع وجوهها ، وهى تشتمل على أحكام خاصة بالعبادات والشعائر الدينية ، كما تشتمل على قواعد سياسية وقانونية ، وعلى تفـاصيل آداب الطهارة ، وصور التحية ، وآداب الأكل ، وعيادة المرضى " .

ويضيف (شاخت) : " أن التشريع الإسلامى قد أثر تأثيرًا عميقًـا فى جميع فروع القانون فى إقليم الكرج (جمهورية جورجيا) ، وذلـــك خلال فترة تمتد من عصر السلاجقة إلى عصر الصفويين .. ثم هنـــاك تأثير التشريع الإسلامى على قوانين أهل الديانات الأخرى من اليـــهود والنصارى الذين شملهم تسامح الإسلام، وعاشوا فى الدولة الإسلامية(١).

وكسابقه يشهد المستشرق السويسرى (مارسيل بوازار) للإسـلام بالتميز كدين ودولة معًا، وللقانون الإسلامى بالتميز عن القانون الوضعى العلمانى سواء فى المصدر ، أو فى المقاصد ، الأمر الذى يعنى تمـــيز المنظومة القانونية فى الحضارة الإسلامية ، وخطأ محـــاولات علمنـــة القانون وحركة الحياة والاجتماع فى عالم الإسلام ، لما فى ذلـــك مـــن

(١) صوت الأزهر ٢١ أبريل ٢٠٠٦ .

مصادمة للتصورات الفلسفية للإسلام إزاء الكون .. ولمكان الإنسان فى هذا الوجود كما يحددها الإسلام " .

يقول (مارسيل بوازار) فى شهادته : " من المفيد أن نذكر فارقًا جوهريًا بين الشريعة الإسلامية والتشريع الأوربى الحديث ، سواء فى المصادر أو فى أهدافها النهائية .. فمصدر القانون فى الديمقراطية الغربية هو إرادة الشعب . وهدفه : النظام والعدل داخل المجتمع أما الإسلام فالقانون صادر عن الله وبناء عليه يصير الهدف الأساسى الذى ينشده المؤمن هو البحث عن التقرب إلى الله باحترام الوحى والتقيد به ".

ومن بين المؤرخين والمستشرقين الأوربيين أيضًا المستشرق البلغارى الدكتور (يوردان بييف) أستاذ كرسى التاريخ العربى بجامعة صوفيا ، والذى تمتد علاقته باللغة العربية إلى أكثر من أربعين عامًا .

حيث درس اللغة العربية فى تونس ، ودرس التاريخ العربى فى جامعة أكسفورد بباريس ، حتى يتعرف على الحضارة العربية الإسلامية وتاريخها ، والذى أحب فى الإسلام سماحته واحترامه وأمنه، وقال : إن الإسلام برئ من أى عنف أو تطرف أو إرهاب ، فنحن المؤرخين والمستشرقين نرى بعيون مقارنة .. نحن نقارن بين حال أوربا وبين الحال فى ديار الإسلام فمثلاً الظروف الإنسانية التى كانت تمر بها الإمبراطورية العثمانية تخالف تمامًا الظروف التى تمر بها الإنسانية الآن .. فهى حضارات وتواريخ ارتبطت بوقت وظروف إنسانية وتاريخية تختلف تمامًا عن وقتنا الحاضر .

وأضاف أن الحضارة الإسلامية حضارة عريقة ، وهى أيضًا حضارة إنسانية مطلقة ، ولذلك أقول لمن يتحدثون عن العداء بين المسلمين والمسيحيين فى التاريخ القديم : عليكم أن تتعرفوا على

الظروف التى كانت فى ذلك الوقت ، وأن ننظر إلى الظروف التاريخية التى مرت بها تلك المرحلة من حياة البشرية .

ورغم الظروف والحروب التى شهدتها المراحل التاريخية المختلفة لا يستطيع أحد إنكار أن الحضارة الإسلامية حضارة عريقة ، وقدمت الكثير لمعظم الحضارات الأخرى، لأنها وعاء استوعب كافة الحضارات والحضارة الإسلامية واحدة من خمس حضارات إنسانية رائدة ، ويشهد لها التاريخ الإنسانى بأنها أثرت فى الحضارات الأخرى، وأسهمت فى بنائها.. هناك خمس حضارات عظمى فى تاريخ الإنسانية، وهى الحضارة الإسلامية والمصرية ، واليونانية ، واللاتينية ، والرومانية ، ونحن الآن فى الحضارة الأوربية والغربية بدأنا نتغلب على هذه الحضارات بالتكنولوجيا ، وذلك منذ القرن السادس عشر بعد الثورة الفرنسية .

أما المستشرق المجرى الدكتور (شاندور فودر) رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بودابست الذى كرمته مصر العام الماضى ٢٠٠٥ فى احتفال وزارة الأوقاف بالمولد النبوى الشريف عن خدماته العظيمة ودفاعه عن الإسلام فى المجر، فقد ارتبط بالإسلام عن طريق حبه للفنون الإسلامية.

والذى وصف من يهاجمون الحضارة الإسلامية فى الغرب بأنهم لا يعرفون شيئًا عن حضارتهم هم فضلاً عن الحضارات الأخرى، وقال: إنهم يجهلون ثقافتهم وثقافة الآخر، وأنا كأستاذ جامعى أدرك وأرى مستوى المعرفة لدى الطلاب فى المجر ، فلدينا مثقفون لكن أحيانًا تعجب من المستوى المحدود جدًا للمعرفة لدى الطلاب، وذلك بخصوص العالم كله، رغم ما يعيشه العالم فى ظل العولمة وعمليات الحاسوب و " الإنترنت ".

[illegible] : للأسف الناس يصبحون أجهل وأجهل ، وهذا أهم سبب [illegible]

[illegible] إن نشرنا المعلومة السليمة عن الإسلام في الحضارة [illegible] ، وهي حضارة راقية عريقة ، وبها قيم إنسانية عالية للغاية ، [illegible] أن هذه الصورة السلبية لدى الجمهور ستتحول إلى صورة إيجابية.

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (١٣ الحجرات) سوف نفهم أن القرآن الكريم وأن الإسلام يعترف بوجود التعددية الدينية ، وهو خير دليل على تسامح الحضارة الإسلامية .. ولهذا فعلينا أن نساعد على نشر المعلومات الصحيحة بين الناس ، وليس بين المسلمين فقط أو الدول الإسلامية فقط (١) .

وتقول دائرة المعارف البريطانية في الطبعة الحادية عشرة عند حديثها عن القرآن الكريم : كان محمد أظهر الشخصيات الدينية العظيمة وأكثرها نجاحًا وتوفيقًا .. إن من الصعب على الأوربي الذي تربى تربية مسيحية مغلقة أن يتحرر من الأفكار التي طالما لاقت رواجًا على مر القرون الطويلة ، بأن محمدًا ﷺ كان نبيًا كاذبًا ، ومخادعًا محبًا للشهوات وداهية سياسيًا " (٢) .

كما أنه من الصعب على هذا الأوربي أن يفهم معنى إجلال المسلمين الكبير لرسولهم ﷺ وتوقيرهم إياه باعتباره أكمل إنسان على وجه الأرض (**إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم**) هكذا كانت العبارة التي يرددها كل مسلم تجاه حملات الإساءة إليه عليه الصلاة والسلام .

---

(١) صوت الأزهر ٢١ أبريل ٢٠٠٦ .

(٢) الأسبوع ٦ فبراير ٢٠٠٦ .

إن حملة الإساءة إلى النبى ﷺ كما اتضح فيما قبل إنما تعكس حقيقة الحضارة الغربية الزائفة التى تكيل بمكيالين ، وتعكس مدى الحقد الدفين للإسلام والمسلمين ، تحت ستار الحرية والإبداع ، مع أنهم يخالفون تلك المبادئ والشعارات عندما يتعلق الأمر باليهود ، أو محاولة التشكيك فى المحارق أو المذابح ، التى تعرضوا لها حسب زعمهم . وتنبرى الأقلام وتتبارى الصحف فى الهجوم على أى باحث أو كاتب تجرأ وتناول هذا الأمر بشكل موضوعى أو افتراضى ، وتقوم الدنيا ولا تقعد حتى يعتذر هذا الكاتب أو الباحث أو ينعزل عن الحياة تماماً إرضاء لليهود، وما تعرض له الكاتب الفرنسى روجيه جارودى منذ عدة سنوات وغيره من الكتاب الباحثين خير شاهد على ذلك ، والاتهامات جاهزة ومهيأة وعلى رأسها تهمة معاداة السامية التى اخترعوا لها قانوناً فى الغرب ، لإلجام أى فم يتفوه بكلمة حق ضد أولاد القردة والخنازير ، أما إذا تعلق الأمر بالتهجم على الإسلام ورسول الإسلام ﷺ فإن مصطلح حرية التعبير ينطلق ليكمم أفواه من يحاول الدفاع عنه ، بل ويمعنون فى الإساءة والتجريح بكل عناد .. [١] .

وهنا نتساءل هل يليق بالحرية كقيمة أخلاقية سامية يختص بها الإنسان دون سواه من المخلوقات على هذه الأرض للتعبير عن رأيه وفكره وعمله ، أن تستخدم من قبل البعض للإساءة للرسل والأديان السماوية ، ومحاولة النيل من مكانتهم الروحية الرفيعة التى يقدسها ملايين البشر فى مشارق الأرض ومغاربها ، والتى منحهم إياها رب العالمين .. فرسالة الحرية كما حددتها الكتب السماوية ونظمتها الشرائع

---

(١) الأسبوع ٧ فبراير ٢٠٠٦ .

الوضعية أيضًا تعطى الإنسان الحق فى النقد والتقويم والإبداع فى كل مجالات النشاط الإنسانى ، ولكنها لا تسمح له بالإساءة إلى الآخرين .

هذا ما يؤكده المفكر الفرنسى دوبريه الذى أوضح أن حرية الصحافة ليست مطلقة بل يجب أن تخضع لقوانين تحقق توازنًا بين الحرية والمسئولية ، فى إطار يرفض الدعوة لاحتقار وازدراء الأديان والمعتقدات ، وأشار دوبريه إلى أن الرسوم الكاريكاتيرية تنم عن جهل الغرب بالإسلام ، مشيرًا إلى أن هذا الجهل عمق الفجوة بين الغرب والإسلام ، مؤكدًا أن التذرع بما تم نشره يأتى فى إطار حرية الصحافة كلام خاطئ وملتبس ، لأن المساس بالأديان وازدرائها ليس من حرية الصحافة فى شئ ، فالدين لا يخضع لحرية الرأى والتعبير لأنه عقيدة ويمثل وجدان وثقافة الإنسان وشخصيته ، وطالب دوبريه بضرورة احترام الغرب للإسلام ، وأن يكون الاحترام متبادلاً - لأن الغرب يهتم بالأمر عندما يتعلق بالإساءة إلى المسيحيين أو اليهود أكثر من اهتمامه بما إذا كانت الإساءة تمس المسلمين ، أو أن هذه الازدواجية والكيل بمكيالين تؤدى لنشوء الكراهية والعدائية بين المسلمين والغرب والحضارات المختلفة [١] .

والحقيقة أنه كما أن فى الغرب من يسيئون إلى الإسلام فإن فيه من ينظرون إليه بإنصاف وباحترام ، وكما أن فى الغرب جهات ومنظمات مشوهة ومشبوهة لها أهداف خبيثة وتفتعل المعارك بين العالم الإسلامى والغرب لإساءة العلاقة بينهما ، وإشعال الصراع بين الثقافات والأديان .. فإن فى الغرب مؤسسات ومفكرين وشخصيات مؤثرة تدافع

---

(١) الوفد ٢٧ فبراير ٢٠٠٦ .

عن الإسلام ، وتدعو إلى احترام ما فيه من قيم إنسانية وحضارية وروحية سامية ، وكما أن هناك الكثير من الكتب والمقالات والرسوم تسيئ إلى الإسلام ، فإن هناك أيضًا الكثير من الكتب التى تنصف الإسلام وتبين حقيقته الداعية إلى الفضيلة والحرية وحقوق الإنسان والمساواة بين البشر .

ومن عقلاء الغرب على سبيل المثال : ولى عهد بريطانيا الأمير شارلز وكاتب بريطاني يدعى فيليب فيرناندو الذى كتب فى (الصنداى تايمز) مقالاً بعنوان الإسلام صديق لابد من الحفاظ على صداقته، انتقد فيه الصحف الغربية التى تتحدث عن عداء المسلمين للحضارة الغربية والادعاء بأن الإسلام عقيدة تدعو أصحابها إلى العنف والإرهاب واستحلال قتل المخالفين لهم ، وينتقد أيضًا القول بأن الإسلام يشن الآن حربًا ثقافية جديدة ضد الغرب . وأهم ما يشير إليه المفكر البريطانى أن الحضارة الغربية تستوعب الآن ديانات غير سماوية مثل البوذية والهندوسية وهى تنمو سريعًا فى الغرب .. فلماذا يتسع المجتمع الغربى لهم ولا يتسع للمسلمين، مادامو ملتزمين بالتعايش والتفاعل مع المجتمع الغربى، ويبدون الرغبة فى الاندماج واحترام القيم والقوانين الغربية [١].

ويقول الكاتب الصحفى الفرنسى هنرى تانك المتخصص فى شئون الأديان لصحيفة لوموند فى ٧ فبراير ٢٠٠٦ أن العالم قد نسى قضية سلمان رشدى وروايته الآيات الشيطانية ليعود بعد عشرين سنة ويفجر قضية الرسوم الكاريكاتيرية التى تصور نبى الإسلام بشكل يسئ إلى الإسلام ، ويظهر بشكل واضح الذوق الردئ للذين رسموه ،

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٦ .

ويكشف بشكل أوضح أن هناك جهالات كثيرة فى الفراغ الفاصل بيـــن حضارتى الشرق والغرب [١] .

لذلك ينبغى على المثقفين بالحضارة العربية والإسلامية فى الداخل والخارج ، وهذا هو الأهم أن يعملوا على نشر المعلومات السليمة بيـــن الناس ، لأن هذا فى مصلحة المسلمين ومصلحة الغـــرب أيضـًــا ، لأن المصلحة مشتركة ، وفى رأيى أن العالم أصبح صغيرًا ، ولهذا علينا أن نتعايش معًا ، وأن نتعارف ونعيش فى سلم وأمان .

كما ينبغى القيام بحملة تثقيفية وتعريفية لنشر المعلومات الصحيحة عن الإسلام بشتى الطرق ، وضرورة أن يفهم المسلمون والمســـئولون فى العالم العربى والإسلامى أنهم إذا أرادوا أن يصححوا صورة الإسلام فى الغرب فعليهم أن يقدموا صورة إيجابية عن الإسلام ، وعليـــهم أن يقتربوا من غير المسلمين بطريقة أو بأخرى ، حتـــى يتعـــرف غـــير المسلمين على الحضارة الإسلامية ومبادئها السمحة .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٥ .

الفصل الثالث

موقف الحكومات الغربية

موقف الحكومات الغربية

لقد حاولت الدول الأوربية على المستوى الرسمي ومن خلال تصريحات المسئولين في اتجاه التهدئة. ومحاولة تطويق الأزمة والتعصب الذي عم الشارع العربي والإسلامي ، والالتفاف حول الموضوع ، ومحاصرة الدعوات إلى المقاطعة التي عمت دولاً عربية وإسلامية ، وهذا يدل على الإدانات الكثيرة التي خرجت من رؤساء جمهوريات غربية وأمريكية ووزراء خارجية ومسئولين كبار .

فقد اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية أن نشر الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد ﷺ في الصحف الأوربية يشكل تحريضًا غير مقبول على الحقد الديني أو الأثني ، وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية جاستن هيجنز أن هذه الرسوم الكاريكاتيرية تسئ حقًا إلى معتقدات المسلمين . وأضاف في تصريح لوكالة فرانس برس نشرته جريدة الأهرام يقول فيه : " جميعنا نحترم حريةُ الصحافة والتعبير ونقربها ، لكن من الضروري أن تقترن بحس المسئولية لدى الصحافة (١) .

وحذر وزير الخارجية الفرنسي فيليب دوست بلازي من تصعيد الأمور فيما يتعلق بموضوع نشر الرسوم الكاريكاتيرية الساخرة ، عن النبي محمد ﷺ في الغرب ، وما ترتب على ذلك من ردود أفعال

---

(١) الأهرام ٤ فبراير ٢٠٠٦ .

غاضبة من جانب المسلمين فى العالم ، وأشارت الأهرام إلى حديث بلازى لمحطة أل سى أى بالتليفزيون الفرنسى أنه من غير الطبيعى تصوير دين بأكمله على أنه منظمة متطرفة أو إرهابية ، من خلال رسوم كاريكاتيرية .. وأكد على ضرورة احترام الأديان دون المساس بحرية الصحافة ، وذكر أن الخارجية الفرنسية تدين فى بيانها الرسمى كل من شأنه جرح الأفراد بالتعرض لمعتقداتهم الدينية [١] .

وقد أكد رئيس جمهورية إيطاليا كارلو إيزيليو شامبى أنه على الرغم من أن الحرية مبدأ أساسى هى أحد الحقوق الأساسية للإنسان ، إلا أن حدودها تقتصر على عدم المساس بالآخر ، والمسئولية يجب أن تترجم إلى فعل وممارسة ، وشدد على أهمية الحوار بين الثقافات والأديان ، ويجب أن تكون الحرية مسئولة .

كما عبر وزير الداخلية الإيطالى جوزبى بيسانو عن غضبه الشديد لإهانة الإسلام والمسلمين ، وأعرب عن ضرورة احترام الأديان والرموز الدينية ، لكل الديانات فلا يجب أن تكون موضع سخرية أو إساءة أو إهانة [٢] .

وقد أعلن سفير النمسا بالقاهرة أن الاتحاد الأوربى أصدر بيانًا رسميًا بشأن نشر الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للرسول ﷺ أوضح فيه أن حرية الصحافة والرأى كلمتان رئيسيتان ، إلا أن الأفعال التى تهين الأديان يجب إدانتها [٣] .

---

(١) الأهرام ١٠ فبراير ٢٠٠٦ .
(٢) أخبار اليوم ١١ فبراير ٢٠٠٦ .
(٣) الجمهورية ٢٠٠٦/٢/٨ .

وقد أعلن بيتر بالكيننيا رئيس وزراء هولندا أمام البرلمان رفضه مطلب كل من المفوضية الأوربية والبرلمان الأوربى وثيقة شرف إعلامية من شأنها حماية الأديان السماوية ، مما يزعمه الإعلاميون من حرية الرأى والفكر وعدم المساس بالرموز والمقدسات الدينية ، أو ثقافات الآخرين بما يسئ إليهم أو يسبب لهم الإهانة .

أما رئيس البرلمان الأوربى الأسبانى جوزيف قد أيد فى بيان له مطلب المفوضية الأوربية بضرورة حد وضع لما يطلق عليه حرية الرأى والإعلام فى أوربا ، وأن يقف هذا الحد الفاصل عند المساس بالأديان السماوية ، أو معتقدات الآخرين أو المساس بثقافات الشعوب الأخرى[١] .

كذلك أدان بيان الاتحاد الأوربى الاعتداءات والحرائق التى تعرضت لها سفارات الدانمارك والسويد والنرويج فى دمشق ، واستنكر البيان موجة الهجمات والتهديدات ضد مواطنين وممتلكات أوربية ، تمثلت فى الهجوم على مبنى الاتحاد الأوربى فى الأراضى الفلسطينية[٢].

وقد عبر السفير الدانماركى فى القاهرة بيارن سورنسن عن أسفه الشديد واعتذاره عما سببته هذه الرسوم التى نشرتها صحيفة دانماركية من جرح لمشاعر المسلمين [٣] .

كما نشر أيضًا رسالة فى أخبار اليوم فى اليوم التالى ١١ فبراير قال فيها : إن هناك احترامًا شديدًا للمسلمين الذين يعيشون فى بلاده ،

---

(١) الوفد ٢٠٠٦/٢/١٠ .

(٢) الجمهورية ٢٠٠٦/٢/٦ .

(٣) الأهرام ١٠ فبراير ٢٠٠٦ .

وفى بلاد العالم المختلفة مشيرًا إلى أن هناك ٢٠٠ ألف مسلم فى الدانمارك بما يمثل ٤% من السكان ، وثانى أكبر ديانة هناك بعد البروتستانتية ، وأن الإسلام له تقدير كبير كأحد الأديان المحترمة .

وقد قدم وزير خارجية النرويج أسفه باسم حكومته للرسوم الكاريكاتيرية التى نشرتها إحدى المجلات النرويجية نقلاً عن صحيفة جيلاندز بوستن الدانماركية . ووعد بأن تتخذ الإجراءات الكفيلة بعدم نشرها مجددًا [١] .

ورغم إشارته إلى أهمية حرية التعبير فى بلاده إلا أنه قال أن هذه الرسوم لا تسهم فى تقوية الثقة بين المنتمين لديانات مختلفة .

كذلك علق جاك سترو وزير الخارجية البريطانية على هذه الرسومات قائلاً : نحن جميعًا نحترم حرية التعبير ، ولكن لا يوجد ما يدعو للإهانة وتأجيج المشاعر ، كما أننى أعتقد أن إعادة نشر هذه الرسوم لم يكن ضروريًا ، وغير مدرك لحساسية الوضع ، ويدعو لعدم احترام الغير ، ولذا فقد كان من الخطأ .

كما أدان الرئيس الروسى فلاديمير بوتن الرسوم الكاريكاتيرية التى تسئ إلى مشاعر المسلمين ، واصفًا إياها بأنها تشكل شرخًا إضافيًا إلى العلاقات بين الأديان ، وتسئ إلى مشاعر المسلمين وتستفزهم لاتخاذ ردود فعل عنيفة [٢] .

وهكذا جاءت ردود الأفعال الخارجية على الرسوم الكاريكاتيرية التى أساءت إلى الرسول الكريم محمد ﷺ ، والتى تزامنت مع تصاعد

---

(١) الأهرام ٢ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) الأهرام العربى ٢٥ فبراير ٢٠٠٦ .

الاحتجاجات فى العالم ، وخروج المظاهرات لحرق بعض سفارات الدول التى نشرت هذه الرسوم ، وانطلقت الدعوة لمقاطعة المنتجات الدانماركية فى زلزال هز أرجاء العالم الإسلامى من الشرق إلى الغرب، مما دعا المبعوث الرسمى للاتحاد الأوربى خافيير سولانا عن رفض قادة أوربا وشعوبها المساس بالأديان والأنبياء ، وعن فتح صفحة جديدة مع العالم الإسلامى ، وإعادة جسور الثقة بين الشرق والغرب .

إن حرية التعبير التى يكفلها الإعلان العالمى لحقوق الإنسان تؤكد ضرورة احترام الأديان ، وعدم المساس بالمعتقدات الدينية للآخرين ، فحرية التعبير لا تعنى الحرية المطلقة ، أو بلا مسئولية فلابد أن يكون للحرية حدود أخلاقية لايمكن تجاوزها .

فعلى القائمين على أحوال المسلمين فى العالم وعلى الإعلام بوجه خاص دور مهم فى أن يكون وسيطًا لمد جسور التفاهم بالحوار بين الثقافة الإسلامية والغربية ، واستخدام الأساليب السلمية فى مواجهة هذه الهجمة على الإسلام ، وعلى دول العالم أجمع التوجه إلى الأمم المتحدة لاستصدار قرار يمنع المساس بالمعتقدات والمقدسات الدينية كلها أسوة بما نجح اليهود فى الحصول عليه من قرار يحظر التشكيك فى المحرقة النازية لليهود ، حتى لا يدخل العالم فى نفق مظلم من الكراهية والصراع لا يعلم مداه إلا الله .

الفصل الرابع

موقف الحكومات العربية والإسلامية

موقف الحكومات العربية والإسلامية

تواصلت مشاعر الغضب والاستنكار فى أرجاء العالم الإسلامى سواء على المستوى الشعبى أو الرسمى - حكومات ومؤسسات ومنظمات - وخاصة بعد أن أعادت صحف أوربية نشر المزيد من الرسوم المسيئة للإسلام والنبى محمد ﷺ، كانت قد نشرتها أولاً صحيفة (يولاندز بوستن) الدانماركية ، وكما بينا شهدت العواصم العربية والإسلامية كلمات غاضبة من الخطباء والأئمة فى المساجد ، كما ندد المصلون الغاضبون بالسخرية من الرسول ﷺ ، وخرجت مظاهرات الإدانة والتنديد تشجب التطاول على المقدسات الإسلامية ، ولكن ما هو موقف الحكومات أو الموقف الرسمى تجاه حملة الإساءة إلى الإسلام ورسوله محمد ﷺ ؟

بداية اتسم موقف الحكومة المصرية بالجرأة والحزم ، وحذرت الحكومة المصرية على لسان الرئيس حسنى مبارك فى تصريح لوكالة أنباء الشرق الأوسط ، نشرته معظم الجرائد المصرية حكومية وحزبية ومستقلة . ذكر فيه أن هذه الحملة يمكن أن يكون لها تداعيات خطيرة ، سواء فى الأجلين القريب أو البعيد ، وأشار الرئيس مبارك أن المساس بالعقائد الدينية أكبر خطر يهدد الاستقرار فى العالم .. وأن حرية الرأى والتعبير والصحافة التى نكفلها ونحترمها ينبغى أن لا تكون ذريعة للنيل من المقدسات والمعتقدات والأديان .. وأن التمادى فى هذه الحملة يعنى

الانزلاق إلى مستوى خطير وسوف تكون له عواقبه الوخيمة فى إثارة مشاعر العالم الإسلامى والجاليات الإسلامية فى أوربا وخارجها ، وأن التعامل غير المحسوب مع تداعيات هذه الحملة سوف يوفر المزيد من الذرائع لقوى التطرف والإرهاب (١) .

ودعا الرئيس دول وشعوب العالم إلى أن تتعامل بالكثير من الحكمة والحذر مع كل ما يمس معتقدات البشر وأديانهم مقدساتهم ، وأكد الدكتور أسامة الباز مستشار الرئيس مبارك للشئون السياسية أن الرسوم الدانماركية التى تهجمت على مقام رسول الله ﷺ تقع دون شك ضمن قوائم أى قانون جنائى بوصفها جريمة سب وقذف وتشهير ، وأنه لا سبيل للدفاع عن تلك الرسوم باعتبار أن صاحبها يمارس حرية التعبير التى نحترمها ، لأن من رسمها ومن نشرها قد انتهكوا حقوق المسلمين فى حرية الاعتقاد، وتجاوزوا بذلك حدود حريتهم فى التعبير .

ودعا الباز إلى ضرورة استصدار قرار من الأمم المتحدة لتجريم إهانة الأديان أسوة بقانون تجريم معاداة السامية (٢) .

كما بعث وزير الخارجية أحمد أبو الغيط رسالة إلى ٢٥ وزيراً فى دول الاتحاد الأوربى مطالبًا فيها بضرورة التوقف الفورى عن الإساءة للإسلام والرسول ﷺ ، كما التقى أبو الغيط مع سفراء الاتحاد الأوربى فى القاهرة لبحث وتدارس تداعيات حملة الإساءة للإسلام والمسلمين فى الصحف الأوربية (٣) .

---

(١) الأهرام والأخبار والجمهورية ٣ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) الأهرام ٢٤ فبراير ٢٠٠٦ .

(٣) الأهرام ٢ فبراير ٢٠٠٦ .

وطالب الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بضـــرورة إصدار قرار أو قانون يجرم الإساءة للأديان والأنبياء على غرار قـانون معاداة السامية ، وأشار الوزير عقب استقباله وفد الكنائس الدانماركيـــة إلى أن حرية التعبير لها حدود ؛ أهمها احترام الآخرين وعدم ازدرائهم. وحيا الوزير موقف الأقباط فى اتحادهم مع إخوانهم المسلمين إزاء هـذه الأزمة (١) .

وقامت المملكة العربية السعودية بأجهزتها الحكوميـــة الرسـمية ووسائل إعلامها للدفاع عـــن الرسـول ﷺ ، فـور نشـر الصحيفـة الدانماركية الرسوم المسيئة للنبى ﷺ ، وطـــالبت جميـع السـعوديين بمقاطعة المنتجات الدانماركية ، وكبدت الحكومة الدانماركيـــة خســائر فادحة نتيجة هذه الإساءة .

وكان أول رد فعل رسمى للحكومة السعودية هو سحب ســفيرها لدى الدانمارك بعد نشر هذه الرسوم مباشــــرة ، وطــالبت الســعودية الحكومة الدانماركية بتقديم اعتذار رسمى على ما تم نشره ، وما ســببه من ضرر نفسى لجميع المســلمين ، وعلــى الفــور حــاول السـفير الدانماركى فى الرياض هانز مكينجرج احتواء غضب السعوديين ضــد بلاده ، وقام بجولات عديدة للالتقاء بالقيادات الإســلامية ، محــاولاً أن يقنعهم بأن الحكومة الدانماركية ترفض الإساءة للإسلام (٢) .

وأكد مجلس الوزراء السعودى برياسة خادم الحرمين الشــريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز أن العالم الإسلامى قــادر علــى حمايــة

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٠ .

(٢) الأهرام ٧ فبراير ٢٠٠٦ .

مقدساته وهويته وخصوصياته ، كما فعل على طول الأزمنة والعقود دون تجاوز على الغير ، ودون مساس لسلامة وحرمة الآخرين ، وأن المملكة تتوقع أن تقف جميع الدول والحكومات والمؤسسات الأهلية بوضوح فى صف احترام المقدسات للأمم ، ودعم تعايش الحضارات وفهم خصوصيات الثقافات [١] .

ودعا محمد عبد الغفار وزير الدولة للشئون الخارجية وزير الإعلام بالبحرين إلى وضع خطة بعيدة المدى من أجل توضيح صورة الإسلام السمحة ، والتصدى لكل حملات الإساءة للرسول محمد ﷺ وللدين الإسلامى بشكل عام .

وأوضح فى حديثه للأهرام أن هذه الخطة يجب أن ترتكز إلى عدة محاور : أهمها إنشاء قنوات فضائية عربية وإسلامية موجهة للغرب ، وتكون مهمتها الأساسية الرد على كل ما يثار حول الدين الإسلامى والمسلمين بشكل علمى موضوعى ، وتقديم الإسلام للغرب بصورته الصحيحة ، كذلك إرسال قوافل من الإعلاميين والعلماء الذين يجيدون التحدث باللغات الأجنبية للتحاور مع المجتمعات الغربية ، وقال أنه يجب تنشيط دور الجاليات الإسلامية فى الدول الغربية ، وتحديدًا فى الدول الاسكندنافية لتوضيح صورة الإسلام المغلوطة فى العقل هناك ، وأنه يجب تفعيل دور المراكز الثقافية والإسلامية المنتشرة فى أوربا وأمريكا .

وأدان عبد الغفار ما قامت به بعض وسائل الإعلام الدانماركية بنشر صور مسيئة للرسول ﷺ ، وقيام بعض وسائل الإعلام الأوربية

---

(١) الأهرام العربى ٢٥ فبراير ٢٠٠٦ .

الأخرى بإعادة نشرها ووصف تلك الأعمال بالبغيضة والمشينة وأنها تشجع على غرس بذور الكراهية والعنصرية [١] .

كما ركزت وسائل الإعلام الأماراتية فى معالجتها لهذه القضية على أن شعب الأمارات وجميع الدول الإسلامية أصيب بصدمة كبيرة تجاه التصرف غير الحضارى الذى ارتكبته صحيفة (يولاندز بوست) الدانماركية وصحيفة (مفازينياتى) النرويجية بنشرهما رسومًا كاريكاتيرية تسئ إلى نبى الإسلام محمد ﷺ وأن مما زاد من سخط وغضب شعب الأمارات الموقف السلبى للحكومة الدانماركية ، التى لم تبد أى تقدير لمشاعر ومعتقدات أكثر من مليار وثلاثمائة مليون مسلم ، بالرغم من مضى فترة طويلة على نشر هذه الرسوم ، بحجة احترام حرية الرأى .

وأكدت وسائل الإعلام الأماراتية احترامها لقضية حرية التعبير ، وأشادت فى الوقت نفسه إلى أن المواثيق الدولية التى تكفل حرية التعبير قد وضعت لها حدوداً وضوابط ، بحيث تمارسه مقترنة بالمسئولية واحترام حقوق وسمعة الأديان .

وبينت وسائل الإعلام الأماراتية أن نشر رسوم تمس بمقام الرسول محمد ﷺ يتجاوز حرية التعبير ، ويشكل فى مضمونه تصوف غير حضارى يحرض على الكراهية وينطوى على عنصرية بغيضة ، ويتنافى مع دعوات التسامح والتعايش المشترك ، ونبهت إلى أن هذه الأفعال تهدم الجسور بين الحضارات بدلاً من بنائها وتحتقر مشاعر ومقدسات الدين الإسلامى بدلاً من احترامها ، وأكدت أن المسلمين فى

---

(١) الأهرام ١٤ فبراير ٢٠٠٦ .

كل أنحاء العالم لايمكن أن يتسامحوا مع الاستهزاء أو السخرية من نبيهم الكريم ، وأن من حقهم إبداء الغضب واللجوء إلى كل الوسائل القانونية والسلمية، للتعبير عن رفضهم الشديد للتعرض لشخصية الرسول محمد ﷺ والإساءة للدين الإسلامى ، وأشارت إلى أن إعلان الأمم المتحدة الذى حذر من خطورة عدم مراعاة أو التعدى على حقوق الإنسان وخاصة حرية الفكر والمعتقد والدين ، فقد شدد على خطورة ذلك التعدى نظرًا لما يمكن أن يؤدى إليه من صدامات ومعاناة إنسانية وأن حرية الاعتقاد والديانة يجب أن تحترم احترامًا كاملاً باعتبارها أحد الأسس الجوهرية لحياة الإنسان .

وقد أكدت وسائل الإعلام الأماراتية فى معالجتها أهمية التحرك الجاد للتعريف بالقضايا العربية والإسلامية فى المحافل الدولية والعمل على إيجاد خلفية مشتركة للحوار بين الشرق والغرب ، كما دعت إلى ضرورة إيجاد مفهوم معروف يتطرق للنواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية للتعرف بحرية التعبير وحرية الصحافة ، وركزت على أهمية وجود مرجعيات تنظم حرية الرأى والتعبير فى الصحافة، بما لا يتعارض مع الحريات الشخصية والمعتقدات والمشاعر الوطنية ، وركزت على ضرورة العمل على كل المستويات لصياغة قانون دولى عن طريق الأمم المتحدة يحمى ويصون المعتقدات والمقدسات الإسلامية ، خاصة أن الدساتير والقوانين الأوربية تضمنت حقوق الإنسان ، وكذلك أهمية تفعيل دور المنظمات الأهلية العربية المتمثلة باتحاد الصحفيين العرب واتحاد المحامين العرب ، واتحاد الكتاب العرب فى الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية .

ورغم التنوع والتعدد الطائفى الذى يشتهر به لبنان وينعكس على صفحاتها ، إلا أن هذه الصحف أجمعت على رفض الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبى ﷺ ، واختارت أن تواجهها بنفس السلاح فنشرت رسومًا كاريكاتيرية عديدة تعالج هذا الموضوع ، وترد عليها باستخدام الكاريكاتير من أبرزها رسم يصور قلم رصاص على شكل سيارة مكتوب عليها Car-toons وقد انحرفت عن الطريق إلى الهاوية ، وآخر يصور الأصولية الجديدة على شكل شخص تتدلى بدلاً من لحيته الكثيفة مجموعة من أقلام الرصاص التى يستخدمها رسامو الكاريكاتير، ورسم يصور الصحف طائرة فى الهواء ، وقد تناثرت أوراقها على شكل أجنحة وكتب أسفله (أنفلونزا الكاريكاتير) فى إشارة إلى انتقال عدوى الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة بين الصحف الأوربية بسرعة ، ورسم آخر عبارة عن قطعة من الجبن الدانماركى يخرج من الثقوب الموجودة بها أقلام على شكل أقاع .

وبالإضافة إلى المتابعات الإخبارية اليومية لأخبار الاحتجاجات الشعبية على الرسوم المسيئة ، والتى وصلت إلى حد إحراق القنصلية الدانماركية فى بيروت [1] .

وقد ندد رئيس الوزراء اللبنانى فؤاد السنيورة بالرسوم وقال فى بيان أصدره المكتب الإعلامى لرئاسة مجلس الوزراء ، أنه يضم صوته إلى الأصوات العربية والإسلامية ، التى نددت بالرسوم المسيئة للرسول ﷺ والإسلام والمسلمين، والتى نشرت فى صحف دانماركية ونرويجية، كما دعا السلطات الدانماركية والنرويجية إلى اتخاذ الإجراءات التى من

(١) الأهرام العربى ٢٥ فبراير ٢٠٠٦ .

شأنها صون كرامة المسلمين الذين شعروا بالمهانة ، نتيجة هذا العمل المدان [1] . كما أدان الرئيس اللبناني إميل لحود الرسوم المسيئة للسرول ﷺ معتبرًا أنها ليست موجهة إلى الإسلام بل إلى كل مؤمن يقيم الدين والحضارة في العالم [2] .

وأصدر السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله اللبناني الشيعي بيانًا شديد اللهجة ، قائلاً : أنه لو كان المسلمون قد نفذوا الفتوى التي أصدرها المرشد العام للثورة الإيرانية الإمام آية الله الخوميني رحمه الله ، وقتل الكاتب البريطاني سلمان رشدي بسبب كتاب (آيات شيطانية) قبل عشر سنوات لما تجرأ أي أوربي على السخرية من الرسول ﷺ [3] .

وقد اهتمت الصحف اللبنانية بتحليل الأبعاد الحضارية والإستراتيجية لهذه الأزمة من كافة جوانبها ، فصحيفة البلد أشارت إلى أن قبيل انفجار قضية الرسوم الكاريكاتيرية في أوربا ، كان من الشائع الاعتقاد أن الشرق الأوسط هو المبادر في خضم الصراع بين الحضارات في كل ما يتعلق بالإسلام بينما تكون أوربا هي المتلقية ، ولكن هذه الرؤيا تنقلب رأسًا على عقب أمام أعيننا تصادم الحضارات يندلع في أوربا ، وأصداؤه الارتدادية تصل إلى الساحة الشرق أوسطية، وقلب الصراع ينتقل إلى باريس وكوبنهاجن .

وتشدد صحيفة اللواء على أن ديننا الحنيف أمرنا باحترام الديانات السماوية ، وإن أي رد على الإساءة الشنيعة لرسولنا الكريم ﷺ يجب أن

---

(١) الأخبار ٢ فبراير ٢٠٠٦ .
(٢) الأهرام ٣ فبراير ٢٠٠٦ .
(٣) الأهرام العربي ٤ فبراير ٢٠٠٦ .

تأخذ منهجًا حضاريًا ، وبعيدًا كل البعد عن الإثارة والعنف ، كي تعكس الوجه الحقيقي للدين الإسلامي المبني على العدالة والسلام ، مشيرة إلى أهمية إنشاء مؤسسات إعلامية إسلامية وعربية من ذوي الاختصاصات لنشر وتوضيح صورة الإسلام في جميع أنحاء العالم ، والقيام بحوارات حضارية على مستوى عال مع الدول الأوربية وجميع دول العالم لإقناع تلك الدول بسن القوانين في بلادها لتجرم من تسول نفسه للتعوض لأي ديانة أو مذهب أو يتطاول على أي نبي من أنبياء الله وخاصة محمد وعيسى وموسى (١) .

وفي الجزائر طالبت الحكومة الجزائرية الجمعية العامة للأمم المتحدة بسرعة التحرك لاستصدار توصية أو قرار لإلزام جميع دول العالم باحترام الأديان والشعوب الأخرى (٢) .

وقد منعت تونس والمغرب توزيع صحيفة (فرنسو سوار) الفرنسية، الذي أعادت نشر الرسوم المسيئة للنبي ﷺ .

وقد اتخذت صحف دول المغرب العربي مواقف حاسمة تفوق الموقف الرسمي في الجزائر والمغرب وتونس في بعض الأحيان ، حيث وضعت هذه الدول العديد من القيود التي وضعتها لمنع تسيير المظاهرات الغاضبة التي عادت وسمحت بها في بعض الأحيان .

وأمام هذا الموقف المتصاعد للصحافة المغربية اضطرت بعض السلطات في المغرب والجزائر إلى التراجع ، واتخاذ مواقف صارمة

---

(١) الأهرام العربي ٢٥ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) الأهرام ٣ فبراير ٢٠٠٦ .

تساير صحافتها كالذى دعا إليها أحمد أو يحيى رئيس الوزراء الجزائرى بسرعة المطالبة بفرض عقوبات صارمة سياسية واقتصادية شاملة ، من قبل الدول العربية والإسلامية ضد الدول الأوربية التى تسمح لصحافتها بنشر تلك الرسوم المسيئة ، فى الوقت الذى دعا فيه عبد العزيز بلخادم الأمين العام لحزب جبهة التحرير الحاكم فى الجزائر والممثل الشخصى للرئيس بوتفليقة إلى ضرورة التحرك العربى والإسلامى باتجاه الأمم المتحدة للمطالبة بإصدار قرار أو توصية دولية فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بفرض قيود وعقوبات على الدول التى تنتهج الإساءة إلى الأديان ، والمقدسات الدينية ، على غرار ما حدث مع قانون معاداة السامية .

وقد خاضت الصحافة المغاربية حربًا ضروسًا تجاه هذه الرسوم وأرادت الصحافة الجزائرية توسيع نطاق الحملة لتشمل جبهتين : الأولى تجاه حكومتى الدانمارك والنرويج عبر المطالبة بطرد سفيرى البلدين من الجزائر ، وكذلك تبنى حملة المقاطعة لمنتجات الدول الأوربية عبر نشر قوائم يومية بمنتجات هذه الدول ، التى أتت ثمارها فى الأسبوع الأول ، وصارت المقاطعة بالفعل السلاح الأقوى بين الجزائريين ، حيث قرر سفير الدانمارك خسائر بلاده فى الجزائر وحدها بأكثر من ١٥٠ مليون دولار ، ثم سارعت بمطالبة نواب البرلمان الجزائرى وأفراد الشعب لجمع حملة توقيعات عاجلة لعقد جلسة خاصة للبرلمان الذى كان فى أجازة شتوية ، للمطالبة بفرض عقوبات جزائرية باتجاه الدول التى تسمح بنشر تلك الرسوم .

أما الجبهة الثانية فى معركة الصحافة الجزائرية فهى تلك الحرب بشكل يومى ضد الحكومة الجزائرية لتقاعسها لأكثر من أسبوعين فـــى البداية ، فى التغاضى عن هذه الجريمة ، وطالت إلى وزارة الشـــئون والمؤسسات الدينية التى خرجت عن صمتها ، واتهمت حملات الصحافة الجزائرية بنواح اليهوديات ، واستمر الفعل ورد الفعـــل لأكـــثر مـــن أسبوعين ، حتى أنقذت الحكومة الموقف بإصدار وزارة الخارجية بشكل مفاجئ لبيان رسمى حمل الاتهام المباشر لحكومتى الدانمارك والـنرويج المسئولية الأولى عن صمتها ، وغض الطرف عن نشر تلك الرســـوم التى وصفتها بالدميمة ، وقامت الحكومة بـــإغلاق صحيفـــة (اقـــرأ) و(الرسالة) التى أعادت نشر الرسوم المسيئة ، وتوقيف رئيسى التحرير لتقديمهما إلى القضاء ، كما أصدرت السلطات الجزائرية قرارات بإقالة سريعة لجميع مديرى القنوات التلفزيونية ورؤساء تحريـــر النشـــرات الإخبارية بسبب وقوع هذه الأخطاء [١] .

وفى طرابلس قررت ليبيا إغلاق بعثتها الدبلوماسية فى كوبنهاجن احتجاجًا على الرسوم الكاريكاتيرية ، وأعلنت وزارة الخارجية الليبيـــة أنه نظرًا لتمادى وسائل الإعلام الدانماركية فى الإساءة للإسلام وعـــدم اتخاذ السلطات الدانماركية أى موقف قررت ليبيا إغلاق المكتب الشعبى الليبى فى كوبنهاجن [٢] .

وأدانت الحكومة الليبية على لسان رئيس الوزراء الدكتور شـــكرى غانم ما ارتكبته الصحف الغربية فى حق رسول الله ﷺ ، وأعلـــن أن

---

(١) الأهرام العربى ٢٥ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) الأهرام ٣ فبراير ٢٠٠٦ .

ليبيا اتخذت جملة من التدابير والإجراءات الاقتصادية والتجارية ضد الدانمارك ، مؤكدًا على أهمية مقاطعة المنتجات الدانماركية (١) .

وفى صنعاء أدان مجلس النواب اليمنى فى بيان صادر عن لجنة الشئون الخارجية للمجلس بشدة ما قامت به الصحيفة الدانماركية مما يتنافى مع قدسية الأديان والرموز الدينية .

كما طالب جاسم الخرافى رئيس مجلس الأمة الكويتى بسحب السفير الكويتى لدى الدانمارك ومقاطعة بضائعها ، كذلك استدعت الكويت السفير الدانماركى لديها ، وأدانت بشدة الإساءة البالغة التى أقدمت عليها الصحيفة الدانماركية بنشر رسوم مسيئة للنبى ﷺ ، ودعت إلى وضع حد لمثل تلك الإساءات العنصرية (٢) .

كذلك قدمت البحرين رسالة احتجاج شديدة اللهجة إلى الاتحاد الأوربى للتأثير على الدانمارك باعتبارها عضوًا فيه (٣) .

وفى فلسطين كان رد الفعل قويًا حتى أنه " يمكن وصف رد فعل الشعب الفلسطينى على قيام الصحف الأوربية بنشر الصور المسيئة للرسول ﷺ ، بأنها الانتفاضة الثالثة للفلسطينيين ، فقد امتزجت فى مسيرات الضفة الغربية وغزة أعلام كل القوى والتنظيمات الفلسطينية برغم اختلاف المشارب الفلسطينية ، فرفرف علم حماس الأخضر بجوار علم فتح الأصفر ، ومعهما علم حركة الجهاد الأخضر ، وغيرها من أعلام التنظيمات الفلسطينية ، وعلم دولة فلسطين (٤) .

---

(١) الأهرام العربى ٤ فبراير ٢٠٠٦ .
(٢) الأخبار ٢٠٠٦/١/٢٩ .
(٣) الأهرام ٨ فبراير ٢٠٠٦ .
(٤) الأهرام العربى ٢٥ فبراير ٢٠٠٦ .

كما أعلنت لجان المقاومة الشعبية وكتائب شهداء الأقصى إهدار دم جميع الرعايا الأجانب الذى يحملون الجنسيات للدول التى نشرت الرسوم المسيئة للرسول ﷺ (١) .

أما فى الأردن فقد استدعت وزارة الخارجية الأردنية القنصل الفخرى للدانمارك كما اتصل وزير الخارجية بنظيره الدانماركى ، مؤكدًا الموقف الأردنى الرسمى الرافض الإساءة للإسلام ، وضرورة اتخاذ التدابير اللازمة الرافضة لمثل هذا التصرف (٢) .

وأكد النواب والنقابيون والإعلاميون فى الأردن إدانتهم للرسوم الكاريكاتيرية وأعلنوا أن نشر هذه الرسوم فى صحيفة دانماركية وصحف أوربية أخرى ، جزء من مؤامرة تقودها أميركا ضد المسلمين (٣) .

وكذلك توالت ردود الأفعال فى الدول الإسلامية للتنديد بالرسوم المسيئة للرسول ﷺ واتخاذ مواقف مؤثرة حيال هذه الرسوم .

فقد أشارت الأهرام أن إيران علقت المبادلات التجارية مع الدانمارك كرد فعل على هذه الإساءة ، وانضم الرئيس الإيرانى والعاهل الأردنى إلى حملة الانتقادات للرسوم التى أثارت احتجاجات ومقاطعات ضد الدانمارك والدول الغربية ، ونقل تلفزيون طهران عن الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد قوله خلال محادثة تليفونية مع العاهل السعودى الملك عبد الله بن عبد العزيز أنه يتعين على المسلمين أن يبدو رد فعل حاسم تجاه هذه الأفعال الشائنة (٤) .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٣ .

(٢) الأهرام العربى ٢٠٠٦/٢/٤ .

(٣) الأهرام ٦ يناير ٢٠٠٦ .

(٤) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٤ .

وأعلنت الخارجية الإيرانية أنها استدعت سفيرها لدى الدانمارك ، ورفضت السماح للصحيفة الدانماركية بدخول إيران ، وقد أمر رئيس الجمهورية مجدداً إعادة النظر فى الروابط التجارية الى ترتبط بها إيران مع الدول التى اشتركت فى نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ مع الدانمارك[1] .

وفى العراق ألغت وزارة النقل العراقية عدداً من العقود المبرمة مع الحكومة الدانماركية[2] .

وقد قام رئيس الوزراء التركى بجهود مكثفة مع رئيس الوزراء الأسبانى ثاباتيرو بنقل رسائل إلى الدول الأوربية من أجل وقف نشر تلك الرسوم المسيئة ، وذلك باعتبارهما يرأسان معًا ما يسمى بمبادرة تحالف الحضارات، التى يرعاها كوفى عنان الأمين العام للأمم المتحدة.

وذكرت صحيفة (ينى شفق) التركية أن رئيس الوزراء الدانماركى راسموسن طلب من نظيره التركى رجب طيب أردوغان الوساطة من أجل تحقيق حدة التوتر بين الغرب والدول الإسلامية .

ودعا زعيم المعارضة التركى - رغم أنه علمانى- ورئيس حزب الشعب الجمهورى دنير بايكال رئيس الوزراء الدانماركى ورؤساء الدول الغربية ورؤساء تحرير الصحف ، التى نشرت هذه الصور المسيئة للرسول ﷺ بتقديم اعتذار للعالم بأسره ، وليس فقط للدول الإسلامية ، وقال : " هل يمكن الإساءة إلى نبى الله عيسى تحت غطاء حرية الفكر والصحافة .

---

(١) الأهرام ٦ يناير ٢٠٠٦ .
(٢) الأهرام ١٣ فبراير ٢٠٠٦ .

كما أعلن رئيس اتحاد رجال الأعمال المستقلين فى تركيا الدكتور عمر بلاط قطع العلاقات الاقتصادية مع الدانمارك بسبب ما حدث ، مشيرًا إلى أن النشر جاء فى خطة معدة من جانب الدول الغربية تستهدف الإسلام (١) .

وأشار سفير أوزبكستان فى القاهرة صالح انعاموف إلى استنكاره واستنكار بلاده وشعبه ، لما تعرض له النبى ﷺ من اعتداءات من قبل صحافة الغرب ، وأكد أن صحافة بلاده تتصدر صفحاتها المقالات التى تندد بما تفعله الصحافة الغربية ، وأن مشاعر الغضب تعم جميع أنحاء البلاد (٢) .

وقد استدعت الخارجية الباكستانية سفراء فرنسا وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا وسويسرا وهولندا والمجر والنرويج والتشيك ، وطلبت منهم أن تضمن حكوماتهم عدم تكرار مثل ذلك الأعمال المهينة المتمثلة فى نشر الرسوم المسيئة لرسولنا الكريم ﷺ (٣) .

وهكذا نجد أن كافة الدول الإسلامية حكومات وشعوب قد هبت للاستنكار والاعتراض على نشر رسوم مسيئة تهين الرسول ﷺ وتعتدى على الإسلام وشعوبه ومقدساته . ولم تنفصل الحكومات عن الشعوب التى هبت دفاعًا عن رسول الله ﷺ فى صور شتى بمظاهرات تارة ، وتارة أخرى مقاطعات لكافة المنتجات الدانماركية ، الأمر الذى

---

(١) الجمهورية ٦ فبراير ٢٠٠٦ .
(٢) الأهرام ١٠ فبراير ٢٠٠٦ .
(٣) الجمهورية ٦ يناير ٢٠٠٦ .

جعل الحكومات تعلن عن شجبها واســـتنكارها لمـــا فعلتـــه الصحيفـــة الدانماركية والصحف الغربية الأخرى ، وقد أعطت الحكومات الضـــوء الأخضر لوسائل الإعلام المطبوعة وكذلك المسموعة والمرئية لإشـــعال وتفعيل الرفض والمقاطعة بغض النظر عن أى نتائج يمكن أن تـــترتب على ذلك.

الفصل الخامس

موقف المؤسسات
والمنظمات الإسلامية

موقف المؤسسات والمنظمات الإسلامية

كان فى مقدمة المؤسسات التى تفاعلت مع هذا الحدث واستنكرته مؤسسة الأزهر الشريف وعلى رأسها شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوى ورئيس جامعة الأزهر الدكتور أحمد الطيب ومفتى الديار المصرية الدكتور على جمعه والشيخ عمر الديب وكيل الأزهر وأساتذة وعلماء وطلاب جامعة الأزهر .

وقام فضيلة الإمام الأكبر بقيادة مظاهرات شارك فيها آلاف الطلاب والطالبات وأعضاء هيئة التدريس من جامعة الأزهر تنديدًا بإساءة الدانمارك والنرويج وبعض الدول الغربية للرسول ﷺ ، وللمطالبة بمقاطعة أى دولة تقوم بالإساءة إلى رسول الإسلام . وقد رافق شيخ الأزهر القيادات الدينية فى مصر الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف والشيخ عمر الديب وكيل الأزهر والدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية ، والدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر .. وفى كلمة شيخ الأزهر أمام المتظاهرين أعلن عن اتفاق المؤسسات الدينية فى مصر على مقاطعة كل دولة تسئ إلىالإسلام ، وإلى رسول الله ﷺ ، وقال أنه باسم الأزهر الشريف يعلن أن مصر بأكملها ستدافع عن النبى ﷺ أكثر من دفاعها عن نفسها ، لأنها تحبه أكثر من أى شئ فى الوجود ، وأن كل دولة تسئ إليه فهى محتقرة وأن الدول التى رضيت بما فعلت الصحيفة الدانماركية الهابطة من إساءة للرسول فنحن نقاطعها .. نقاطعها لأن مقاطعتها فرض علينا ، وكل من

يسئ إلى الرسول سنقاطعه ، وإذا لزم الأمر منازلته فسنضحى بكل شئ من أجل الرسول ﷺ (١) .

وطالب فضيلة الإمام الأكبر الاتحاد الأوربى بضرورة التراجع عن موقفه الرافض لإصدار قانون يجرم العدوان على الأديان والأنبياء، وذلك فى الزيارة الهامة التى جرت بينه وبين خافير سولانا المنسق العام للسياسة الخارجية للاتحاد الأوربى ، وفى المؤتمر الصحفى الذى عقده فضيلة الإمام عقب اللقاء ، صرح أن الإساءة إلى رسول الله ﷺ هى إساءة لجميع المسلمين ، وطالب باستصدار قرار من الأمم المتحدة ومجلس الأمن، يكون ملزمًا لجميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية بعدم الإساءة إلى الأنبياء ، وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ .

وقد رفض الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية أن ينطلق تصدينا للدفاع عن الرسول ﷺ ، من مجرد أنه شخص ميت ولا يستطيع الدفاع عن نفسه مؤكدًا أن محمدًا ﷺ لم يمت ، وإنما يعيش فى نفوس المسلمين جميعًا ، وأنه لا يمكن وضعه فى صف واحد مع أى من الأموات أو حتى الزعماء ، وأن ازدراء الأديان بصفة عامة لا ينتج عنه سوى العداء بين البشر ويمثل عدوانًا على حقوق الإنسان ، وأن الإسلام يرفض الإساءة إلى أى نبى أو دين ، لأن الإيمان بالرسل واحترامهم جزء من العقيدة الإسلامية ، مؤكدًا أنه لابد أن نقف صفًا واحدًا ضد هذا الإلحاد والفساد فى الأرض (٢) .

---

(١) صوت الأزهر ١٠ فبراير ٢٠٠٦ ، الأهرام ٢٠٠٦/٢/٧ .

(٢) الأهرام العربى ٢٠٠٦/٢/٤ .

وأعلن الدكتور على جمعة أن الرسوم جـــاءت ضمـــن مخطـــط الأعداء لتشويه صورة الإسلام ، وأكد مفتى الديار المصرية أن الاعتذار الدانماركى لا يكفى لرد الإساءة ، مشيرًا إلى وجود من يتعمد توســـيع الفجوة بين المسلمين والغرب بهدف عزل الإسلام بعد دخول عدد كبـير من الغربيين فى الدين الإسلامى .

وفى بيان مهم أعلنه الدكتور على جمعة وعمـــر خـــالد الداعيـــة الإسلامى فى مؤتمر صحفى مشترك شدد مفتى الجمهوريـــة علـــى أن مواجهة الإساءة للرسول الكريم والإسلام يتطلب تفعيل القوانين الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ، والتى وقعتها أكثر من ١٠٠ دولـة ، وتتضمن حرمة ازدراء الأديان ، وطالب المفتى باعتذار واضح عن كل ما صدر من إساءات لرسولنا الكريم ، مؤكدًا أن هناك فرقًا كبيرًا بيـــن حرية الرأى والتعبير بالإســـاءة . ودعـــا المفتـــى الاتحـــاد الأوربـــى للاضطلاع بدوره فى إزالة كل ما من شأنه تشويه الإسلام والمسلمين ، وقال إن هناك قوانين سيئة السمعة من شأنها تشويه صـــورة الإســـلام والمسلمين ، وطالب بمحاصرتها وتغيير المخالف منها ، وأكد ضـــرورة الأخذ بكل الوسائل والأسباب لرد الاعتبار إلى المسلمين ، ولابـــد مـــن الاستفادة بكل الجهود الشعبية التى تتضافر فيها المنظمات العالميـــة .. واستمرار الجهود بدءًا من إعلان الغضـــب وحتـــى المقاطعـــة ، لأن الإسلام الذى علمنا إياه الرسول الكريم ﷺ دعانا إلى نصرته والدعـــوة بالتى هى أحسن [١] .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٩ .

وفى مقالة بالأهرام عنوانها : كيف نرد الإساءة ، يقول الدكتـــور على جمعة مفتى الجمهورية : تكشف أزمة الدانمارك عن أننا قصرنـــا فى عرض ديننا بصورة لافتة للنظر وأشاد إلى جهود جامعة الأزهر فى هذا الشأن فى أنها أنشأت كلية اللغات والترجمة لتخريج الدعاة العارفين باللغات الأجنبية ، وذكر أننا نحتاج إلى المزيد من هذا التوجه بإرســـال البعثات من الأزهر الشريف للدراسة فى الغرب ، وتقبل بعثات الآخرين إلينا وهو ما شرعت فيه جامعة الأزهر بالفعل ، وتفعيل دور الخريجيين من هذه الكليات للعمل بالمراكز الإسلامية فى الخارج ، وإنشاء مرصـد تكون مهمته الرصد والتحليل لكل ما يكتب وينشر ويذاع عن الإســـلام فى الخارج باللغات المختلفة ، وإنشاء قناة فضائية تتكلـــم بالإنجليزيـــة لمخاطبة الآخر بلغته ومناقشة كافة القضايا بالإسلام والمسلمين ، وعقـد مؤتمرات للحوار بصورة مستمرة يدعى فيها رجال الصحافة والإعـلام فى كل مكان وتتم المناقشات حول المصطلحات والصور الذهنية التـــى تتعسف مع الإسلام والمسلمين ، وعمل مناهج متخصصة ودراسات عليا لدراسة الخلاف الحضارى بين الشرق والغرب وطرحها للحـــوار مـــع جميع المؤسسات الفكرية والإعلامية والجامعيـــة والثقافيـــة ، وتفعيـل الاتفاقات القائمة بين جامعة الأزهر وســـائر الجامعـــات والمؤسســـات العالمية ، وإنشاء مراكز للترجمة والنشر من العربية وإليها للاطـــلاع على خلاصات التراث الإسلامى ومكونات العقل المسلم وعلى كيفيـــة الاستفادة من التراث الإنسانى والتواصل بيننا وبين العصر خاصة فـــى مجال البحث العلمى (١) .

---

(١) الأهرام ٢٠ فبراير ٢٠٠٦ .

ومن جانبه أشار الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر تأييده للمظاهرات والمقاطعات للدول التى تسئ للرسول ﷺ ، فهذه المظاهرات التى يقودها القيادات الدينية فى مصر وعلى رأسهم شيخ الأزهر تعبير عن الاستياء الشديد لهذه الفوضى ، التى أصبحت سمة سائدة فى بعض الدول الغربية ، وآخرها الدانمارك التى رهنت سياستها ومصالحها واقتصادها رهن صحيفة أساءت إلى الرسول معلم البشرية ﷺ .

وأوضح قائلاً كنا نحسب أن ما حدث هو سقطة ، وأن المسئولين فى الدانمارك سيعتزرون ، إلا أننا وجدناهم تحدثو حديثًا غير مسئول ، وتكلموا عن الحرية ، وظهر من يقول أن مصادرة الرأى جريمة أكبر من الإساءة لنبى ، ولذلك فإننا تأكدنا أن حضارة تحصر فكرها وعلومها فى التعامل مع المادة ، وتتكر ما وراء ذلك لا تستغرب عليها أن تتكر الأديان .. ولذلك فإننا سنقول بمنطقهم أننا أحرار ، لأن ندعو من خلال جامعة الأزهر كل مسلم أن يقاطع كل منتج دانماركى ، وأن يفضل الموت على التغذية بهذه المنتجات ، وأنه إذا كانت الصحيفة حرة فنحن أحرار فى دهس المنتجات الدانماركية تحت الأقدام (١) .

وفى بيان للأزهر قال فيه إنه وهو يدين هذه الحملة ، ويدعو جميع المؤمنين والحكماء إلى مواجهتها ، لا تغيب عنه أبدًا قيمة حرية التعبير وضرورة حمايتها بنصوص الدساتير والقوانين ، كما لا يغيب عنه كذلك ما استقر لدى علماء القانون الدولى ، والقوانين الداخلية من أن حرية التعبير شأنها شأن سائر الحريات المقررة فى الدساتير ،

---

(١) صوت الأزهر ١٠ فبراير ٢٠٠٦ .

كما تمارس فى مجتمع منــظم ، وأن هــذا التنظيم يقتضى التوفيـــق بين ممارستها وبين حريات وحقوق أخرى ، فى مقدمتــها الحــق فــى صيانة الكرامة الشخصية، وحرمة الأعـــراض والمقدســات الفرديــة والجماعية [1].

وفى إطار الجهود العربية والإسلامية للتصدى لمحاولات الإسـاءة للإسلام وللرسول ﷺ ، عقد أكثر من مؤتمر ، وأكـــثر مـــن نـــدوة ، ونشطت المنظمات الإسلامية الرسمية والأهلية ، وتشكلت لجان للدفـــاع عن المقدسات الإسلامية ، والتنديد بحملة الإساءة إلى خير البريـــة ﷺ ، وذلك لتوحيد الجهود وتفعيل عملية المقاطعة ، ومناقشة تداعيات قضيـــة نشر الرسوم المسيئة للنبى ﷺ .

عقدت اللجنة البحرينية لنصرة خير البرية ﷺ مؤتمـــرًا إســـلاميًا عالميًا فى١٤ يناير ٢٠٠٦ بالعاصمة البحرينية (المنامة) وذلك بمشاركة مفتى الديار المصرية الدكتور على جمعة والداعية الإســـلامى الكبـــير يوسف القرضاوى ورئيس وزراء ماليزيا السابق الدكتور مهاتير محمــد وبحضور أكثر من ١٢٠ عالمًا وشخصية إسلامية، وعدد من المنظمات والهيئات الإسلامية من جميع أنحاء العالم ، يهدف هذا الحشد الكبير من علماء المسلمين إلى تنسيق الجهود ، لوضع حلول للأزمة التى أحدثتــها الرسوم المسيئة للرسول ﷺ ، بما لا يضر بالمسلمين وغير المســلمين ، وبحث الأساليب التى يمكن اتخاذها لمنع تكرار الإســـاءة إلـــى النبـــى والديانات بصفة عامة مستقبلاً . كما بحث المؤتمر الأساليب الحضاريـــة فى التعامل مع القضية وترشيد ردود الفعل الغاضبة فى العالم الإسلامى،

---

(١) الأهرام العربى ٢٠٠٦/٢/٤ .

بحيث تكون بصورة عقلانية وبعيدة عن التخريب أو التعدى على الغربيين فى بلادنا [١] .

كذلك دعت منظمة المؤتمر الإسلامى إلى اجتماع طارئ لوزراء خارجية الدول الإسلامية لبحث مواجهة هذه الأزمة ، وأكد الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى ، أن المنظمة تقوم بإجراء اتصالات واسعة بهدف عقد اجتماع طارئ لوزراء خارجية الدول الإسلامية ؛ من أجل بحث كيفية مواجهة إساءة بعض الصحف الأوربية إلى الرسول ﷺ [٢] .

كما أشارت الأهرام إلى حديثه الخاص لإذاعة صوت العرب من جدة والذى ندد فيه عما صدر من إساءة بعض الصحف الأوربية بحق الرسول الكريم ﷺ ، وقد دعا الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى جميع الشعوب الإسلامية إلى التزام الحكمة ، والأسانيد السلمية فى التعامل مع هذه الأزمة [٣] .

ويلاحظ أن الجهود قد تجاوزت التنديد والاحتجاج إلى اقتراح حلول وبدائل لمواجهة هذه الأزمة ، وكيفية التعامل معها ، فقد دعا المجلس الإسلامى الأعلى للدعوة والاستغاثة الحكومات الإسلامية وشعوبها بتفعيل المقاطعة الاقتصادية والتجارية ، والاحتجاجات السلمية ضد حكومة الدانمارك ، وكذلك الدول الغربية التى سمحت لإعلامها أن يسئ للإسلام والمسلمين .

---

(١) الأهرام ٧ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٤ .

(٣) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٤ .

وقد دعت هيئة رئاسة المجلس فى ختـام اجتماعاتـها بالقـاهرة برئاسة شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى الحكومات الإسلامية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامى وجامعة الدول العربية ، ومنظمات المجتمع المدنى ، إلى استصدار قانون دولى من هيئة الأمم المتحـدة ، يجـرم الإساءة إلى الأديان والأنبياء والمقدسات الدينية [١] .

وقد جددت هذه الأزمة الدعوة للحوار بين الحضارات والثقافـات والأديان ، ففى مقال بعنوان : (الصور المسيئة جددت الحـوار بيـن الحضارات) اقترح الدكتور عبد العزيز التويجرى المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة تجديد الدعوة للحوار بين الحضـارات على أساس منطلقات ثلاثة :

أولاً : الاحترام المتبادل بين الحضارات والأديان .

ثانيًا : الإنصاف والعدل .

ثالثًا : نبذ التعصب والكراهية وإيجاد مجتمـع عـالمى يراعـى الخصوصيات ، وطبيعة الثقافات ، وأنماط التقاليد لكل المجتمعات [٢] .

كما شاركت الجامعات المصرية على اختلافها فى الدعـوة إلـى استنكار ورفض الإساءة إلى النبى ﷺ ، وعقدت الكثير من المؤتمـرات للاحتجاج لهذا الشأن .

فقد استنكر أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة من خلال مؤتمر عام ما نشرته إحدى الصحف الدانماركية مـن رسـوم كاريكاتيريـة ،

---

(١) صوت الأزهر ٣ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) الأهرام ٢٠٠٦/٣/٢ .

وشهدت جامعة أسيوط مظاهرات حاشدة ضمت ما يقرب من ٥ آلاف طالب يتقدمهم رئيس الجامعة وأعضاء هيئة التدريس للتنديد بما نشرته الصحيفة الدانماركية ، وأعلن المتظاهرون استنكارهم الإساءة للأديان والمعتقدات والرسل ، تحت دعوى حرية الصحافة [١] .

كما طالبت الجامعات المصرية بالرد العملي على الإساءة للرسول ﷺ حيث طالبت جامعة حلوان باستخدام الانترنت لتعريف الغرب بقدسية الرسول ﷺ ومكانته ، كما طالبت جامعة القاهرة بالحوار الإنسانى لإفهام الآخرين الإسلام الصحيح ، وناشدت هيئة التدريس بجامعة الأزهر المنظمات العالمية بالمطالبة بأقصى عقوبة لمرتكبى هذا الجرم فى حق رسول الله ﷺ ، والثوابت الإسلامية .

كذلك دعا اتحاد طلاب جامعة عين شمس إلى إبلاغ سفراء الدول الغربية بالرفض التام للمساس بالعقائد ، وإلى مقاطعة المنتجات للدول التى شاركت فى نشر الرسوم المسيئة للنبى ﷺ [٢] .

وقام الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين مناشدة المسلمين فى كل مكان إلى توحيد جهودهم ولم شمل صفوفهم لإظهار قوتهم لمواجهة هذه الحملة ، وقال رئيس الاتحاد الشيخ يوسف القرضاوى : إن إعادة نشر مؤسسات إعلامية أوربية لهذه الرسوم ، ورفض الحكومة الدانماركية رغم كل الغضب الذى أظهره المسلمون ، إنما يؤكد أن هناك حملة ضد الإسلام [٣] .

---

(١) الجمهورية ٦ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) الأهرام والجمهورية ٢٠٠٦/٢/٨ .

(٣) الجمهورية ٤ فبراير ٢٠٠٦ .

وأكد المؤتمر الثاني عشر لاتحاد الأوربيين العرب إدانته للرسوم المسيئة للرسول محمد ﷺ ، مشيرًا إلى أن هذه الرسوم تأتي ضمن حملة التشويه والافتراء ، التي يتعرض لها الدين الإسلامي من الأوساط الصهيونية ، وبعض الأوساط الحاقدة في الغرب ، وطالب المؤتمر الحكومات العربية والإسلامية بالعمل على إصدار قرار من الأمم المتحدة يلزم جميع الدول بإصدار تشريعات تحرم المساس بالعقائد والأديان وتوقيع عقوبة رادعة على المخالفين [1] .

ونشرت الأهرام التنديد الذي أعلنته منظمة حقوق الإنسان في مصر إزاء الهجوم الجديد من الصحافة الفرنسية والبلجيكية على شخص الرسول ﷺ ، ونشرها لنفس الرسوم الكاريكاتيرية التي تسئ للإسلام كديانة سماوية [2] .

واستنكرت منظمة العمل العربية -التي تتخذ من القاهرة مقرًا لها- الانتهاكات الدانماركية المتمثلة في الإساءة للإسلام وللرسول ﷺ ، ونشرت الأهرام البيان الذي أصدرته المنظمة بهذا الشأن ، ودعت فيه منظمات أصحاب الأعمال العرب الأعضاء في منظمة العمل القيام بدورهم بتقليص وحجب استثماراتهم في أية دولة من الدول التي تسئ إلى الدين الإسلامي ومقدساته ، وفي مقدمتهم الدانمارك ، مطالبة الحكومة الدانماركية بتحمل مسئولياتها وإنزال أشد العقوبة بالمتسببين في هذه الإساءة [3] .

---

(١) الأخبار ١ مارس ٢٠٠٦ .
(٢) الأهرام ٤ فبراير ٢٠٠٦ .
(٣) الأهرام ٣ فبراير ٢٠٠٦ .

وقررت الجمعية المصرية لفن الكاريكاتير تنظيم مظاهرة فنية للرد على حملة الإساءة للرسول ﷺ ، وذلك من خلال معرض لفن الكاريكاتير يقام فى ميدان التحرير بالقاهرة ، خارج حدود الأماكن المغلقة ليراها العالم أجمع ، ورجل الشارع العادى ، يشارك فى التظاهرة الحضارية ٢٠ رسامًا من مشاهير هذا المجال يعرضون ٥٠ عملاً يعبرون بأسلوب بسيط عن استنكارهم لهذه الحملة الشرسة التى يتعرض لها الإسلام [١] .

وقد أدان الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب – ومقره دمشق – الحملات الإعلامية والرسوم الكاريكاتيرية التى تسئ للرسول الكريم محمد ﷺ من خلال الصحف والمجلات الغربية التى نشرت هذه الرسوم.

وناشد الاتحاد المسئولين العرب والمسلمين والمؤسسات الإعلامية والمعنية بالحقوق والحريات العامة أن تتخذ مواقف واضحة وجريئة وصارمة من هذه الانتهاكات والإساءات التى تمس العلاقات الثنائية بين الدول والأمم .

كما وجه نداء إلى السياسيين والإعلاميين والمثقفين والمؤمنين بحقوق الإنسان وحرياته ومعتقداته فى كل أنحاء العالم أن يتضامنوا مع الإسلام ، وأن يضعوا حدًا لهذه الحملات والقائمين عليها ، والداعين لها والدعوة إلى احترام المعتقدات والقيم الإنسانية والشرائع السماوية .

---

(١) الأخبار ٢٧ فبراير ٢٠٠٦ .

وطالبت النقابة العامة للمرشدين السياحيين برئاسة الأستاذ محمد غريب نقيب المرشدين ورئيس اتحاد المرشدين العرب باستصدار قانون دولى يحرم الازدراء بالأنبياء ورموز الأديان ، وأن تفعل أدواته في مواجهة المخالفين له بمواد مغلظة العقوبات . كما قررت النقابة مقاطعة مصاحبة الوفود السياحية الدانماركية والنرويجية في جولاتهم السياحية داخل مصر مساندة للمشاعر العامة لكافة مسلمى الأرض وغيرتهم على نبى الإسلام (١) .

وفى البيان الذى أصدره اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة العربية الذى عقد اجتماعاته فى القاهرة ؛ أكد أن ما نشرته الصحف الأوربية يمس الأنبياء والرسالات السماوية دون استثناء ، ويعصف بمبادئ التعاطف والسلام التى بشروا بها ، ويهدم أيضاً كل القيم الروحية فى العالم (٢) .

وقد نجح الوفد البرلمانى المصرى برئاسة الأستاذ / محمد أبو العنين المشارك فى اجتماع اللجنة السياسية بالجمعية البرلمانية الأورو متوسطية فى الحصول على موافقة أعضاء اللجنة فى مشروع بيانها الختامى على رفض الرسوم المسيئة للرسول الكريم ﷺ ، والتعبير عن أسفها للإساءة التى تعرضت لها مشاعر المسلمين .

واحتجاجًا علىحملات الإساءة التى شنتها بعض الصحف الأوربية ضد الإسلام نظمت النقابات المهنية مظاهرة دفاعًا عن النبى ﷺ .

---

(١) الجمهورية ٦ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) الجمهورية ٦ فبراير ٢٠٠٦ .

وأكد محمد عبد القدوس مقرر لجنة الحريات بنقابة الصحفيين ، أن المظاهرة تشارك فيها نقابات المحامين والصحفيين والأطباء والمهندسين وممثلوا القوى الوطنية ، وأعضاء مجلس الشعب (١) .

وأصدرت نقابة المهن التمثيلية بيانًا أكدت فيه استنكار جموع فنانى مصر لما حدث من الصحف الدانماركية والنرويجية وتعرضها لشخص الرسول ﷺ (٢) .

وهكذا نجد أن كافة المؤسسات والجمعيات والجامعات والنقابات والمؤسسات ، قد أعلنت رفضها واستنكارها لما حدث من إساءة فى حق النبى ﷺ ، ولأول مرة تجتمع كل هذه المؤسسات على قول واحد وموقف واحد ، لنصرة النبى ﷺ، ووجدنا إجماعًا ومطالبة بأن تتحرك الأمم المتحدة لكى تدعو الدول الغربية إلى وضع قوانين تجرم وتمنع ازدراء الأديان بصفة عامة .

ولم يقتصر الأمر على المؤسسات الإسلامية ، بل وجدنا استنكارات واحتجاجات المؤسسات القبطية فى مصر ، يتضح ذلك فى الصفحات التالية .

---

(١) الأهرام ٢٣ فبراير ٢٠٠٦ .

(٢) الأسبوع ٦ فبراير ٢٠٠٦ .

الفصل السادس

موقف المؤسسات القبطية والأقباط

موقف المؤسسات القبطية والأقباط

استمرت ردود الأفعال الغاضبة والمحتجة فى مصر على الإساءة التى تعرض لها مقام الرسول ﷺ، وتنوعت ما بين مسيرات ومظاهرات حاشدة ، شهدتها معظم الجامعات ، وإصدار أكثر من مؤسسة إسلامية ومدنية وهيئة قبطية بيانات استنكار شديد اللهجة واستمرار الموقف المطالب باعتذار دانماركى وأوربى قويين عما حدث ، أو ضرورة المضى قدمًا فى المقاطعة الاقتصادية لمنتجات الدول التى أساءت للإسلام .

وقد أعلنت الفاتيكان على لسان البابا بنديكت السادس عشر موقفها الرافض للإساءة إلى الشعور الدينى للمسلمين ، مؤكدة أن حق حرية الفكر والتعبير ، الذى أقره بيان حقوق الإنسان ، لا يشمل على حرية الإساءة للمسلمين ، أو لأى دين من الأديان .

وحمل البيان – الذى سلمه القائم بالأعمال فى سفارة الفاتيكان إلى شيخ الأزهر – سلطات البلاد التى تقع فيها مثل هذه الإساءات سواء من أفراد أو هيئات صحفية ، مسئولية التدخل بشكل طارئ ، ووفقًا لمبادئ التشريع الوطنى بها للتصدى لهذا الأمر ، فى الوقت الذى يجب ألا تنسى فيه أى إساءات فردية إلى المؤسسات الحكومية فى ذات البلد .

وحذر بيان الفاتيكان من تأثير أشكال وطرق النقد التى تثير السخط أو السخرية من الآخرين ، على علاقات السلام والتعايش بين الناس والدول ، وما تتطلبه من احترام متبادل .. مشيرًا إلى أن هذه

الأعمال يدل على انعدام الحس الإنسانى ، واستمرارها يؤدى إلى خلق حالات استفزاز غير مقبولة [١] .

كما بعث البطريرك الأنبا إسطفانوس الثانى بطريرك الإسكندرية وسائر الكرازة المرقسية للأقباط الكاثوليك ، وكاردينال الكنيسة الجامعة ببرقية إلى الرئيس حسنى مبارك أكد فيها أن كل أبناء الكنيسة القبطية الكاثوليكية يدينون ويشجبون تلك الرسوم المبتذلة ،التى قامت بعض الصحف الأوربية بنشرها ، ملحقين فيها الإهانات بشخص الرسول الكريم ، مؤكدًا أن من أهم مظاهر الحرية الصحفية احترام كرامة وسير وعقائد الغير [٢] .

وأكد المجلس الملى للأقباط الأرثوذكس تضامن الأقباط مع المسلمين فى مواقفهم تجاه التجاوزات التى تسي إلى الإسلام ، جاء هذا البيان بتوقيع الدكتور ثروت باسيلى وكيل المجلس ، والمستشار إدوارد غالب نائب رئيس مجلس الدولة ، وسكرتير المجلس الملى العام ونشرته جريدة الأخبار ٢٠٠٦/٢/٨ .

استنكر البيان الرسوم التى نشرتها الصحيفة الدانماركية التى تسئ إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام والمسلمين مشيرًا إلى أن هذا التصرف أحمق ، ولا يراعى المشاعر الدينية التى يقدسها المسلمون فى كل أنحاء الأرض . ولا عبرة لما يتزرعون به من حرية الصحافة لأنها يجب أن تكون حرية مسئولة . كما أكد المجلس تقديره الكامل واحترامه المطلق لكل المسلمين ، وأنه لا يتقبل بأى حال إيذاء مشاعرهم من قريب أو بعيد .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٠ .
(٢) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٩ .

واستنكر المشاركون فى اللقاء الفكرى الذى نظمه منتدى حوار الثقافات بالهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية بالتعاون مع وزارة الأوقاف المصرية ، استنكروا الإساءة للرسول الكريم .

وصرح المطران الدكتور منير حنا أنيس مطران الكنيسة الأسقفية الإنجيلية بمصر وشمال أفريقيا بأن الكنيسة فى مصر تدين بشدة أى محاولات للإساءة إلى الأديان ، وتستنكر التصرفات غير المسئولة للصحيفة الدانماركية التى أساءت للمسلمين .

كما أعلن الدكتور نبيل صموئيل أبادير مدير عام الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية ، أن الكنيسة الإنجيلية فى الدانمارك وكنائس أخرى ، أعلنت فى بيان رسمى استنكارها ورفضها الشديد للرسوم التى ظهرت فى صحيفة يولاندز بوستن وتسببت فى جرح مشاعر شعوب العالم الإسلامى[1] .

وأشار الأنبا مرقص أسقف شبرا الخيمة وممثل البابا شنوده الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية إلى أن بيانات الشجب والإدانة فى مختلف الدول ليست كافية وحدها ، بل إن الإعلام الغربى يجب أن يواجه بإعلام قوى ومثقف يخاطبه بنفس لغته .

وقالت الدكتورة مرفت أخنوخ رئيس مجلس إدارة الهيئة القبطية الإنجيلية أن هذه الرسوم تركت آثاراً سيئة ليست فى قلوب وعقول المسلمين فقط بل مست المسيحيين أيضاً [2] .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٩ ، الأخبار ٢٠٠٦/٢/٤ .
(٢) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٠ .

وأصدرت الطوائف المسيحية بالمنيا بيانا أدانت فيه الرسوم التي أساءت إلى الرسول ﷺ ، وأكد البيان مشاركته لكل القرارات الصادرة من الدول والحكومات والمنظمات الإسلامية في مصر والدول العربية والإسلامية من شجب واستنكار ورفض الإساءة للإسلام والمسلمين ، وتضامن المسيحيين والتحامهم مع مشاعر إخوانهم المسلمين ، ورفض البيان إيذاء مشاعر المسلمين .

وكانت الطوائف المسيحية بالمنيا قد عقدت مؤتمرا بجمعية الشبان المسيحيين حضره أكثر من ألف مواطن مسيحى إعلان التضامن مع إخوانهم المسلمين تقدمهم كبار رجال الدين المسيحى[١] .

وقدم الدكتور إدوارد الدهبى النائب القبطى فى مجلس الشعب ورئيس لجنة حقوق الإنسان اقتراحا بمشروع قانون عاجل إلى البرلمان، لتطبيق أحكام قانون العقوبات المصرى على جرائم إزدراء الأديان ، سواء ارتكبت داخل مصر أو خارجها .

وصرح الدهبى إن إهانة رسول الله ﷺ جريمة لا تغتفر ، ولا يجب أن تترك هكذا ، ولا يكفى الاعتذار عنها ، من أولئك الذين أساءوا إليها من الدانمارك وعدد من الدول الأوربية ، بنشر صور كاريكاتيرية مسيئة إلى الرسول ﷺ مشيرا إلى أن المسلمين والإسلام لا يسيئ إلى أى من الأديان سواء المسيحية أو اليهودية .

وكان فى مقدمة المدافعين عن الرسول ﷺ أيضا الدكتور نبيل لوقا بباوى أستاذ القانون الجنائى سواء فيما كتب من مقالات أو كتب أشهرها

---

(١) المصدر السابق .

كتاب بعنوان " محمد ﷺ والخناجر المسمومة " وفيه الاعتداءات الباطلة التى ادعاها المستشرقون على الرسول ﷺ وفندها مبينًا كذبها بالحجج القوية (١) .

وفى مقالة بعنوان " تحرك المؤسسات المسيحية ضد إهانة الرسول " يرفض الدكتور نبيل لوقا بباوى الإهانة الموجهة إلى الرسول ﷺ ، على اعتبار أنها تستفز المسلمين والمسيحيين معًا ، لأن إهانة رموز الديانات السماوية فى أى دين إهانة لجميع الديانات السماوية ، لأن كل الديانات السماوية المسيحية واليهودية والإسلام منزلة من عند الله الواحد، وإهانة الرسول محمد ﷺ إهانة لجميع الديانات السماوية ، لأن الله واحد للجميع أنزل الثلاث ديانات ، والله الواحد هو الذى اختار موسى وعيسى ومحمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين، لذلك يجب أن يتحرك المسيحيون للتضافر مع إخوانهم المسلمين وشجب إهانة رسول المسلمين (٢) .

لقد تعاطفت السلطات الدينية المسيحية فى مصر وخارج مصر فى الدانمارك وفرنسا مع المسلمين فى هذه القضية ، واتخذت مواقف مؤيدة لهم ، وأعلنت أن حرية التعبير لا يجب أن تمتد إلى المقدسات ، وقد أدانت الكنيسة الكاثوليكية هذه الرسوم، بل إن أسقف مدينة ليون عاصمة الكاثوليكية فى فرنسا،قد أعلن أنه يشارك المسلمين فى إحساسهم بالجرح.

وفى مقال لها بعنوان (إهانة الأديان جريمة وخطيئة) تؤكد الدكتورة ليلى تكلا إن قضية احترام الأديان من قضايا حقوق الإنسان وهى التزام إنسانى أخلاقى قانونى ، وقبل ذلك فإنها أمر إلهى يفرض

---

(١) الأهرام ٧ فبراير ٢٠٠٦ .
(٢) الأهرام ١٦ فبراير ٢٠٠٦ .

احترام جميع الأديان لضرورته للأمن والسلام والتعايش والتنمية ، وأخذ به المجتمع الدولي وأصدر لذلك صكوكًا متعددة التي تجرم انتهاكه وتعاقب عليه .

وتشير أن ما حدث سلوك مستفز يشجع الإرهاب وجريمة أدانها الفاتيكان والبابا شنودة ، ولابد من التصدي لها . كما يقتضي العقل والإيمان والإحساس بالمسئولية أن نجعل من هذه الواقعة فرصة لاختراق العقل الأوربي ، الذي بعد عن الأديان ، ودعوته للعودة إليها وتعريفه بالإسلام ، بل أيضًا توعيته بمبادئ المسيحية التي تجاهلوها تمامًا، ويمكن أن يكون لمنظمات المجتمع المدني والمفكرين والكتاب والأزهر وكنائس الشرق الأوسط دور كبير في ذلك ، وفي التعريف بالتراث المسيحي الإسلامي، مع ضرورة التنسيق بين هذه الجهود والاستمرارية ، فلا يكون ذلك طفرة حماس سرعان ما تخبو[1].

وهكذا نجد أن موقف الأقباط من الرسوم المسيئة للرسول ﷺ ، كان موقفًا رافضًا لكل إهانة للرسول ﷺ ، وكافة الأديان ، ومؤكدًا على أن الحق في حرية التعبير لا يعطي الحق في إهانة المشاعر الدينية للمؤمنين ، وأن هذا المبدأ يجب أن يحترم في كافة الأديان .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٤ .

الفصل السابع

أزمة الرســـوم الدانماركية
وحرية التعبير والحـــوار

أزمة الرسوم الدانماركية وحرية التعبير والحوار

أثارت أحداث نشر صور تسئ إلى الرسول ﷺ ردود فعل عنيفة لم تقتصر على الدول الإسلامية، بل تعدت إلى جميع دول العالم من شرقه إلى غربه ، مما أحيا الدعوات الدائمة إلى حوار الثقافات والحضارات ، خاصة أن الإسلام لا يمانع فهو دين من شروط صحته الاعتراف بالآخر ، والتحاور معه بالحق والبرهان ، فالإسلام دين عالمى وضع أسسًا للتعاون مع الحضارات والثقافات الأخرى ، دون أن يفقد هويته .

ومن ثم توالت أصداء ردود الفعل الإسلامية تجاه الرسوم المسيئة بالدعوة إلى الحوار والنقاش والرد على ما يسمى بحرية التعبير ، التى استندت إليها الصحف الغربية فى إعادة نشر الرسوم البذيئة والمشينة فى حق الرسول والإسلام والمسلمين . وجاءت فى ذلك أطروحات ومقالات تستحق التسجيل والعرض للتعرف على آراء العلماء والمفكرين والصحفيين والقانونيين فى هذا الشأن ، حيث كشفت أزمة هذه الرسوم عن كراهية عميقة للإسلام ورسوله ، واستفزاز للمسلمين لدى أصحاب هذه الرسوم وناشريها والمؤيدين لها، تحت شعار حرية التعبير، وفى الوقت نفسه كشفت عن سوء فهم أعمق تجاه الإسلام لدى كثير من شعوب الغرب ، تحت وطأة الجهل بهذا الدين ورسوله الكريم ﷺ ، أو الآلة الإعلامية الغربية التى تروى بذور الحقد والكراهية ضد الإسلام والمسلمين .

لذلك فإن المرحلة الحالية تتطلب الاهتمـــام بـــإبراز خصـــائص الحضارة الإسلامية والدفاع عنها ورد الهجوم عليها ، وتقديم صورتـــها الحقيقية للناس كافة ، بلغة يفهمها العالم عنا ، ويقف من خلالها على ما قدمته حضارة الإسلام للإنسانية من خلال الأعمال وعظائم الإنجازات ، وهو موقف متحضر وأسلوب حضارى يسايران العصـــر ، وينفتحـــان على آفاقه ، ويعبران عن إرادة خير تقف فى وجه الحملات المغرضـــة التى تشوه صورة الحضارة الإسلامية بتزييفها للحقائق ، وتزييف متعمد للتاريخ الإسلامى ، ويتنكر لعطائها الثرى المتميز الـــذى أغنـــت بـــه الحضارة الإنسانية ، منذ أن عرف الإنسان حضارة فوق هـــذه الأرض وإلى اليوم ، ومن هذه المحاولات اليائسة الصور المسيئة لرسول الأمـــة عليه الصلاة والسلام .

يقول الدكتور عبد العزيز التويجرى فى حوار معه نشر بـــالأهرام فى ٢٠٠٦/٣/٢ أن نشر الرسوم المسيئة للنبى ﷺ علـــى الرغـــم مـــن قسوتها وتأثيرها فى نفوس المسلمين ، فإنها تمثل دعوة ملحـــة للغـــير للاقتراب من الإسلام ، للتعرف على قيمه وسماحته وعطائـــه ، وإلـــى عظمة نبيه المختار عليه الصلاة والسلام ، وهى فرصة وفـــى الوقـــت نفسه مسئولية على المؤسسات الإسلامية ، الذهاب إلى الغير لعـــرض الإسلام الذى تبين أن الكثيرين لا يعرفون عنـــه إلا القليـــل ، ويؤكـــد الدكتور التويجرى أن الحوار بين الحضارات والثقافات والأديان لابد أن يستند إلى أسس ثابتة وضوابط محكمة ، ولابد أن يقوم على منطلقـــات ثلاثة : هى الاحترام المتبادل والإنصـــاف والعـــدل ونبـــذ التعصـــب والكراهية .. ومراعاة الخصوصيات وطبيعة الثقافات وأنماط التقـــاليد لكل المجتمعات .

وفى الدوحة بقطر عقد اجتماع وزارى رفيع المستوى حضره كوفى أنان وعمرو موسى على هامش هذه الأحداث للتأكيد على ضرورة احترام الثقافات والأديان ، وكانت قطر قد بادرت بالدعوة إلى إصدار قرار دولى يلزم جميع الدول فى الأمم المتحدة بتحريم الإساءة إلى الأنبياء والمقدسات ، وقد عقد هذا الاجتماع للنظر فى التوترات المشتعلة بين المسلمين والغرب على خلفية الإساءة للنبى الكريم بالرسومات الكاريكاتيرية ، التى نشرتها صحيفة دانماركية ، وصحف أخرى فى أوربا دفاعًا عما أسمته بحرية الصحافة أو حرية التعبير[١] .

ورغم أن جوهر الأديان يؤكد حق الإنسان فى الحياة وحقه فى الحرية إلا أنه لا يختلف أحد أيضًا على أن حرية الكلمة والنشر إن لم تكن مسئولة ، فهى الفوضى بذاتها ، وإن لم تكن محدودة بحدود ما ، فهى الغوغائية بعينها، وإن لم تكن مقيدة بقيود فهى الصعود إلى الهاوية، وإن لم تكن مقننة بقانون يوضح إطارها ويشرح معالمها ويفسر معانيها، فهى التجاوزات التى لا نهاية لها .

إن حدود حرية المرء تتوقف عندما تمس حريات الآخرين ، أو تسئ إليهم ، ولا يندرج تحت بند الحرية الاستهزاء بالأديان والمقدسات والسخرية منها ، فذلك هو الجنون بذاته والهوس بعينه ، والدين كما يؤكد المؤرخ البريطانى (أرنولد توينبى) ليس أمرًا ثانويًا لبناء الإنسان وارتقاء الحضارات وصونها ، بل هو عنصر يمدها بكافة القيم والأخلاق الروحية ، كما يمدها بالمعنى الحقيقى الأصيل للوجود والمصير ، وبنفس القوة هو عنصر فى تكوين الضمير الجمعى ، من

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٦ .

هنا فإن السخرية من الدين - أى دين - تعد جريمة بكل المقاييس ، فما بالنا وقد استهزأ هؤلاء الذين رسموا الصــــور الكاريكاتيريـــة البذيئـــة ونشروها فى الدانمارك وغيرها بالرمز الأعظم لما يقرب مـــن ١٣٠٠ مليون من المسلمين ، الأمر الذى فجر المظـــاهرات والاحتجاجـــات ، وأشعل موجات من غضب الشعوب والحكومات أيضـًـا علــى امتــداد الأقطار العربية والإسلامية .

وقد أكد الأستاذ عمرو خالد على أهمية الحوار بين المسلمين وبين الشعوب الغربية ، واقترح إجراء حوار مع شباب دولة الدانمارك ، وأنه هو الحل الأمثل لمحاصرة هذه الفتنة ، ورغـــم أنـــه لا ينكـــر أهميـــة المقاطعة ، فالحوار أمرنا به الدين الإسلامى حتى مع ألد أعداء الإسلام، موضحًا وجهة نظره ، أنه لا ينبغى أن نترك شعوبًا محايدة تجاه ديننــــا تنضم إلى صفوف الأعداء والرافضين لنا ، واقترح منظمـــــة عالميـــة لتثقيف الشباب المسلم ، وتغيير لغة الخطاب الدينى مطالبًا الأزهـــر أن يقوم بدوره فى التجديد [١] .

وقد طرح عمرو خالد فى مؤتمر صحفى عالمى عقد فى القـــاهرة فى ١٧ فبراير ٢٠٠٦ مبادرة بقيام عدد من الدعاء والعلمـــاء وشـــباب المسلمين بزيارة الدانمارك والالتقاء بشبابها وشعبها الذى يتســم بحــب السلام على أن تناقش خمس نقاط :

١ - التعريف بالرسول ﷺ .   ٢ - التعريف بالإسلام .

٣ - توضيح مفهوم الحرية والتعبير بين الثقافتين الإسلامية والغربية .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٤ .

٤ - احترام المقدسات .

٥ - الاتفاق على مشروعات عملية لترسيخ الحوار مستقبلاً .

وحذر من غياب القيم المشتركة التى تجمع المسلمين بالدانماركيين والعالم كله من الإخوة الإنسانية ، والاتفاق على فوائد التبادل التجارى والثقافى والحضارى ، واختيار أسلوب الحوار ، واحترام الآخر ، فهذه القيم تتعرض الآن لاختيار صعب ، وحل المشكلة لن يكون من طرف واحد بل لابد من الطرفين معًا .

ووصف الأزمة بأنها فتنة تسبب فيها عدد قليل ممن ليس لديهم أى إحساس بالمسئولية تجاه البشرية، وقد دخلت هذه الفتنة فى دائرة مفرغة من الفعل ورد الفعل ، ودرس التاريخ ينذر بأن كوارث كبرى وقعت بفتن صغيرة مشدداً على ضرورة محاصرة الفتن ووأدها وإخمادها .

وفى نهاية المؤتمر أعلن عن بيان دعاة الإسلام الذى وقعه ٤٢ عالمًا وداعية من مختلف أنحاء العالم الإسلامى وفيما يلى نص البيان :

" فإن ما جرى من تجروء على رسول الله ﷺ فى أحداث الدانمارك جريمة اعتداء تمس مقدسات الأمة وهو أمر غير مقبول ، كما أنه تخريب لمسيرة التعارف الحضارى بين البشر ﴿ وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا ﴾ .

١ - فإننا نشد على يد الأمة التى هبت لنصرة رسول الله ﷺ ، وهو أمر يؤكد أن هذه الأمة أمة حية ، كما أننا ننبه على أن تكون هذه النصرة مرآة لنهج الحبيب ﷺ ، من خلال تصرفات أمته .

٢ - وندعو الدانمارك حكومة وشعبًا إلى الاستجابة للأصوات المنصفة والناضجة التى انبعثت من داخل مجتمعها معتذرة وداعية إلى إدانة هذا التعدى وإيقافه ، حتى لا تعيش الدانمارك عزلة عن مسيرة المجتمع الدولى ، الذى يدرج ضمن حدود الحريات ما يمنعها من التعدى على المقدسات الدينية ، أو إثارة الكراهية ضد دين أو عرق ، وكذلك نوجه هذه الدعوة إلى الدول التى دافعت عن هذا التعدى ، على أنه لا يوجد اليوم مجتمع يقر الحرية غير المسئولة ، دون أن يضع لهذه الحرية ضوابط تحول بينها وبين الإضرار بالغير ، ثم تتفاوت هذه المجتمعات فى هذه الضوابط .

٣ - وإننا هنا نؤكد أن حرية الرأى مكفولة فى ديننا الحنيف لمن أراد أن يستوضح ، أو أن يحاور شريطة عدم الإساءة ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل ١٢٥) ، وهذا ما اتفق عليه عقلاء البشر ، ونصت عليه اتفاقيات حقوق الإنسان .

٤ - ومع هذا فإننا ندعو المسلمين إلى الانضباط بضوابط الشرع الحنيف ، ونرفض مقابلة الإساءة بما لا يجيزه شرعنا من نقض العهود والمواثيق المحترمة فى شريعتنا ، بالاعتداء على السفارات أو الاعتداء على الأنفس المؤمنة ، وأمثالها من الأعمال غير المرضية والتى قدتشوه عدالة مطالبنا أو تتسبب فى عزلنا عن مخاطبة العالم ، فإن نصرة نبينا لا تكون بمخالفة شرعه .

٥ - وأننا هنا نقرر المواقف المنصفة التى صدرت عن عدد من المراجع الدينية، مستنكرة هذا التعدى الشائن ، مما يدعو إلى التأكيد على عدم أخذ غير المسلمين فى بلادنا وخارجها بجريرة الذين أساءوا إلى النبى ﷺ ، وذلك عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَى﴾ (فاطر ١٨) وقوله عز وجل ﴿ هَلْ جَـــزَاءُ الإِحْسَـــانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ (الرحمن ٦٠) .

٦- كما أننا ندعو منظمة المؤتمر الإسلامي ومن ورائــها دولنـــا وحكوماتنا ، وكذلك المجتمع الدولي إلى العمل على استصدار قرار من هيئة الأمم المتحدة ، يجرم الإساءة إلى نبي الله محمد أو نبي الله عيســي أو نبي الله موسى ، بل إلى سائر أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام .

٧ - وأننا هنا نذكر الأمة بضــــرورة إحيـــاء الصلـــة بـــالحبيب المصطفى ﷺ ، محبة واتباعًا وإحيـــاء لأخلاقه وهديه الشـــريف ، وأن لا يكون انتهاضهم للنصرة مجرد ردة فعل تنتهي بانتهاء الحدث .

٨ - ونؤكد على أن واجبنا الآن هو انتقال إلى مرحلة الحـــوار ، وتعريف العالم بنبينا عبر نشر أخلاقه وأوصافه وشمائله ، إلقاء وكتابـــة وقبل ذلك كله ومعه وبعده سلوكًا ومعاملة[١] .

وأكد المفكر الصحفي سامي خشبة علــــى أهميـــة الحـــوار بيـــن الطرفين الأوربي المسيحي بطوائفه أو مذاهبـــه والإســـلامي بمذاهبـــه وطوائفه أيضًا ، على أن هذا هو السبيل لتجنب تكـــرار الأزمـــة عـــن طريق تبادل الطرفين المعرفة الموضوعية والصادقة أحدهما بالآخر[٢] .

الرد على دعوى حرية التعبير :

في مقاله تناول إبراهيم سعده في أخبار اليوم دعوى حرية التعبير التي استندت إليها الصحف الغربية في نشرها للرسوم المسيئة للرسول ﷺ

---

(١) الجمهورية ، الأخبار ٢٠٠٦/٢/١٨ ، جريدة الأسبوع ٢٠٠٦/٢/٢٠ .
(٢) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٤ .

تضامنًا مع الصحيفة الدانماركية ، منددًا بدعاة حرية الفكر والإبداع فـى أوربا وأمريكا ، لدفاعهم الدائم ضد كل من يجرأ على نقد اليهود مـن بعيد أو قريب ، ومفندًا دعوى حرية التعبير ، فقد أشار إلى أنه كم مـن صحف أوربية عوقبت على نشرها أخبارًا أو رسـومًا كاريكاتيريـة ، تتعرض بالنقد لعادات وتقاليد وتصرفات اليهود ، وكم من أصحاب أقلام قصفت أقلامهم لاتهامهم بمعادة السامية ، وكم من نجوم السينما العالمية الذين حوربوا ومنعوا من التمثيل عقابًا لهم على اشتراكهم فـى تمثيـل أفلام تاريخية ، تشير إلى مسئولية اليهود عن صلب السيد المسيح، وكـم من الكتاب المبدعين امتنعت دور النشر عن نشر كتبهم ؛ لأن البعـض رأى فى كتاباتهم عن آلام وآمال الشعب الفلسطينى مـا يمـس يـهود إسرائيل .

أما عندما صدمت الأمة الإسلامية بما أقدمت عليه إحدى الصحف الدانماركية بنشرها رسومًا كاريكاتيرية تتطاول على رسـول الإسـلام سيدنا محمد ﷺ توقعنا أن يهب دعاة حرية الفكـر وحمايـة الأديـان والمعتقدات للتنديد بما ارتكبته إحدى صحفهم فى حق أكثر من مليـار ونصف من المسلمين ، للأسف الشديد لم نسمع من هؤلاء الدعاة كلمـة واحدة تحمل إدانة للصحيفة الدانماركية ، بل الأكثر من ذلك فوجئنا بـهم يندون برد الفعل الغاضب من الأمة الإسلامية ، ويتهموننا بأننا نحـاول إرهاب الصحافة ، ولا نحترم حرية الفكر ، ولا نتقبل الرأى الآخر[١] .

إن حرية التعبير كما أعلنتها الأمم المتحدة فى قرارها الصادر عام ١٩٤٦ م . هى من حقوق الإنسان الأساسية . وهى المعيار الذى تقـاس

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٤ .

به جميع الحريات التى تكرس الأمم المتحدة جهودها لها ، وتتمثل فـــى الحق فى جمع الأنباء ونقلها ونشرها فى أى مكان دون قيـــود . وقـــال البيان نفسه : " إن أحد العناصر التى لا غنى عنها فى حرية الإعلام هو توافر الإرادة والقدرة على عدم إساءة استعمالها، ومن قواعدها الأساسية الالتزام الأدبى بتقصى الوقائع دون تعريض ، ونشر المعلومـــات دون سوء قصد " .

ونجد فى هذا المعنى نص الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨ م فى المادة (١٩) ، والتى جاءت تقول : " لكـــل شـــخص الحق فى حرية الرأى والتعبير ، ويشمل هذا الحق حرية اعتنـــاق الآراء دون أى تدخل ، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وســـيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية " .

وقد فصلت الدول مرئياتها بخصوص أن تكـــن حريـــة التعبـــير مسئولة ، والقيود التى يجب أن ترد على هذا الحـــق حتـــى لا يســـاء استخدامه فى المادتين ١٩ ، ٢٠ من العهد الدولـــى للحقـــوق المدنيـــة والسياسية .

ويفهم من ذلك أن حرية التعبير . ككل الحريات الأخرى . ليســت مطلقة أو بلا حدود . وإنما هى مقيدة بمجموعة من القيـــود ، أهمـــها : عدم الإساءة إلى الغير ، ويحكم ذلك المثل القائم : " أنت حر ما لم تضر " ولا توجد دولة – بما فى ذلك الدول الغربية – تطلق حـــق التعبـــير للإساءة للغير ، شخصًا كان أو مؤسسة ، وأهم منها الإساءة إلى أى دين من الأديان .

ذلك أن الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان قد حسمت أمر حرية العقيدة، وضرورة احترامها ، حيث ذكر ذلك الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى المادة (١٨) . وأكده العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية .

وتعاقب قوانين العقوبات - ومنها القانون المصرى - من يسئ إلى الأشخاص أو لهيئات بالقذف أو السب أو الإهانة بعقوبة الجنحة ، ويسرى ذلك على من يستخدم أية أداة إعلامية فى هذا الغرض ، سواء بالكلام أو بالصور أو بالكتابة ... إلخ .

إذن ، فالوثائق الدولية لحقوق الإنسان - وهى التى تشكل القانون الدولى فى هذا المجال - تحرم إذن الإساءة إلى الغير وإلىالأديان بشكل عام ، بل وتهيب بمختلف الدول أن تمنع هذه الإساءات وتعاقب عليها ، وقد أكدت الجمعية العامة على هذه المعانى فى العديد من قراراتها .

ومن ناحية أخرى تسعى الاتفاقية الخاصة بالحق الدولى فى التصحيح ، التى دخلت حيز النفاذ فى ٢٤ أغسطس ١٩٦٢ م ، إلى الارتفاع بمؤسسة تشكل جزءاً من القانون الوطنى فى بعض البلدان إلى المستوى الدولى . وتتجسد فكرتها الأساسية فى قاعدة وجوبالاستماع إلى الرأى الآخر ، أى أن الشخص الذى يرد ذكره فى تقرير مطبوع يكون من حقه إبلاغ رأيه فى الموضوع إلى القراء ، وفى الاتفاقية تتفق الدول المتعاقدة على أن من حق كل دولة متعاقدة - إذا ادعت وجود كذب أو تحريف فى رسالة إخبارية نقلها من بلد إلى آخر مراسلون أو وكالات أنباء فى دولة متعاقدة أو غير متعاقدة ونشرت أو وزعت فى الخارج ، وكان من شأنها الإضرار بعلاقاتها مع دول أخرى أو مكانتها أو

بكرامتها الوطنية - أن تعرض الوقائع من وجهة نظرها فـــى رســـالة تسمى " بلاغا " تبعث بها إلى الدول المتعاقدة التى نشرت أو وزعـــت فيها الرسالة الإخبارية المذكورة ، وتلتزم الدول المتلقية بتسليم البــــلاغ إلى العاملين فى إقليمها من مراسلين ووكالات أنبــــاء بـــالطرق التـــى تستخدمها عادة لنقل الأنباء المتعلقة بالشئون الدولية بقصد النشـــر ، ولا تفرض الاتفاقية التزاما قانونيا على الصحافة أو غيرهـــا مـــن وســـائط الإعلام بنشر البلاغ .

غير أن الدول المتلقية ملتزمة بنشر البلاغ أيا كـــان رأيـــها فـــى الوقائع الواردة فى الرسالة الإخبارية أو فى البلاغ الذى يرمـــــى إلـــى تصحيحها . وإذا تخلفت الدول المتلقية عن الوفاء بالالتزام المتعلق ببلاغ دولة متعاقدة أخرى ، كان من حق هذه الأخيرة أن تأخذ بالنهج نفســـه ، على سبيل المعاملة بالمثل ، إزاء بلاغ ترسله إليها الدولة التى تخلفـــت عن الوفاء بالتزاماتها .

وللدولة الشاكية أيضا الحق فى التماس الانتصـــاف مـــن خـــلال الأمين العام للأمم المتحدة الــــذى يقـــوم باســـتخدام وســـائل الإعـــلام الموضوعة تحت تصرفه لتوفير العلنية المناســـبة للبـــلاغ ، وتتضمـــن الاتفاقية أيضا حكما توفيقيا يتم بموجبه إحالة النزاعـــات التـــى يتعـــذر تسويتها بالمفاوضات إلى محكمة العدل الدولية .

وهكذا - على النحو الذى رأينا - نجد أن القوانيـــن والأعـــراف الدولية تجرم كل ما من شأنه الإســـــاءة إلـــى المعتقـــدات والأديـــان ، باعتبارها حقا مهما وجوهريا من حقوق الإنسان .. ولذلك فإن الغـــرب

الآن يجد نفسه فى مأزق ، ففى الوقت الذى ينادى فيه بحقوق الإنسان يستحل الغرب لنفسه بدعوى الحرية الإساءة لنبى الإنسانية ويحرم على الآخرين معاداة السامية [1] .

ويشير أحد الكتاب المصريين فى الرد على دعوى حرية التعبير أن هناك انفصامًا فى الغرب (شيزوفرينا) وأن الغرب يكيل بمكيالين ، وأن هناك فارقًا كبيرًا بين حرية الإبداع وقلة الأدب ، للتعبير عن الضجة المثارة حول قيام بعض رسامى الكاريكاتير فى النرويج والدانمارك بحملة ازدراء للإسلام ولرسولنا الكريم .

يقول يسرى السيد الأديب والمفكر الإسلامى . إن حرية الإبداع مكفولة للجميع لكن بشرط أن تطبق القاعدة الشهيرة ، أن حريتى تنتهى عندما تصطدم بحرية الآخرين ، والملكية العامة والخاصة والدين والمعتقدات والتقاليد والتراث .

ويعطى الكاتب أمثلة على ازدواجية الغرب :

أولاً : هاج الغرب على حركة طالبان الأفغانية ، عندما قامت بتكسير تمثال لبوذا على اعتبار ذلك ردة حضارية من جهة ، واعتداء على اعتقاد فئة من البشر تعتقد فى هذا التمثال.

ثانيا : إن إسرائيل والصهيونية العالمية تقيم الدنيا وتقعدها على كل من يقترب من مزاعمهم حول المحارق الهتلرية لليهود أو ما شابه ذلك ، والتهمة الجاهزة معاداة السامية ، التى مازال الأديب والمفكر

---

(١) مقال بعنوان (حرية التعبير وحظر إساءة استعمالها) د. جعفر عبد السلام أستاذ القانون الدولى جامعة الأزهر والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية .
الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٢ .

الفرنسى روجيه جارودى يدفع ثمن مواقفه الفكرية من المزاعم الصهيونية ، وغير ذلك كثير ، من الأمثلة التى تكشف الشيزوفرنيا التى يعانى منها الغرب إذا اقتربت منهم اتهموك بالتخلف والإرهاب وعدم التحضر ، وإذا سرقوك أو دنسوا دينك ورمزك ونبيك ، وسرقوا آثارك قالوا حرية الإبداع، وحرية امتلاك كل أدوات ومنجزات الحضارة!! (١).

وهكذا يتبين أن ما فعلته الجريدة الدانماركية ليس سوى مخطط مرسوم بدأوا الإعداد له منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، يؤكد ذلك سمير رجب فى مقال له نشر فى الجمهورية تحت عنوان (كم من الجرائم ترتكب باسم الحرية والديمقراطية) ويفند الادعاءات التى تطلقها أوربا عن الحرية والديمقراطية التى ترتكب باسمها الجرائم ويساء من خلالها إلى الأديان والمعتقدات، وكأن هذا الاعتداء هو عقاب لنا على جريمة لم نرتكبها ، وطالب سمير رجب بمواقف حاسمة تجاه الجريمة النكراء ، وتوحيد الجهود لاتخاذ موقف واحد للعمل المشترك من جانب الدول الإسلامية ، مهما اختلفت مواقفها ومصالحها حتى يكون واضحًا أمام كل أعضاء المجتمع الدولى ، على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم وألوانهم وأجناسهم ، إن المساس برسولنا الكريم ﷺ يستحيل أن يمر دون عقاب كل من فقد حياءه ، وتخلى عن مقومات الإنسان السوى ، الذى يفترض أنه قد نشأ على احترام عقيدة الغير ، أما أن يأتى الدانماركيون ليزوروا الحقيقة ، مدعين بأن ما نشر يدخل تحت مظلة حرية التعبير ، أو الرأى والعقيدة فهذا هو الضلال بعينه (٢) .

---

(١) الجمهورية ٢٠٠٦/٢/٢ .

(٢) الجمهورية ٢٠٠٦/٢/٢ .

إن حرية التعبير التى يفخر بها الغرب يقف معــــها علـــى قــدم المساواة حق المستهلك العربى والمسلم فى تناول واستخدام أى سلعة أو عدم شرائها ، إضافة لحقنا المشروع فى الرد على الإســـاءة والتعبـــير بالغضب والمظاهرات والكتابة ، والقول فى الصحف وعـــبر وســـائل الاتصال المختلفة .

وانطلاقاً من الإيمان بأهمية الحوار والتفاهم بين جميع الشـــعوب والثقافات والحضارات بادرت المنظمة العربية لمناهضة التمييز بإصدار بيان نبهت فيه إلى التمييز بين حرية الرأى والتعبير كقيمـــة إنســـانية ، وبين الإساءة للأديان ، والتطاول على المقدسات والمعتقدات ، كما أكـد البيان على ضرورة احترام حرية التعبير كقيمة أساسية ضمن منظومـــة القيم الإنسانية العليا التى لا تتجزأ ، والتى تتضمن احترام الآخر بكـــل أطيافه وثقافاته ومعتقداته ورموزه كل وفق رؤيته .

ولعل أزمة الرسوم المسيئة للرسول ﷺ والتى نشرتها عدة صحف أوربية ، كانت بمثابة إشارة عاجلة تستدعى من الجـــانبين الإســـلامى والأوربى إعادة النظر فى آليات الحوار والتواصل الثقافى فيما بينـــها ، إن إدراج هذه الرسوم المسيئة للنبى ﷺ تحت باب حرية التعبـــير أمـــر غير مقبول ، لأن الحرية لا تعنى توجيه الشتائم والبـــذاءات للآخـــر ، وكما يقول الأستاذ عمرو موسى أمين عام الجامعة العربية إننا مع حرية التعبير ، لكننا ضد إهانة المعتقدات والمقدسات ، متسائلاً لماذا تعتـــبر إهانة السامية أو العداء لها جريمة ، وتعد إهانة الإســـلام أو تعبـــيرات العداء له حرية تعبير !! (١) .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٣/٦ .

كما أكدت كامبل إيزابيلا أستاذ الأدب المعاصر بجامعة روما أن الرسوم الكاريكاتيرية التى نشرت فى الصحيفة الدانماركية لا تمت لحرية التعبير والرأى بأى صلة ، مشيرة إلى أن هناك أطرافًا أخرى لها مصلحة ، وأهداف أخرى من نشر هذه الرسوم بعيدًا عن الحرية المزعومة (١) .

وفى تقديرنا أن الادعاء الأوربى بأن حرية التعبير التى تمارسها الدول الأوربية العلمانية فيه تشويه للعلمانية من ناحية ، وفيه تعمد شن حرب للكراهية ضد الإسلام والمسلمين من ناحية أخرى ، ولم يقل أحد من قبل أن العلمانية التى فى نظريتها الأصلية إن كانت تفصل بين الدين والدولة لا تفصل بين الدين والمجتمع ، ولا تبيح ازدراء الأديان ، بل إنها كما هو الحال فى المجتمع الفرنسى تحترم الأديان جميعها .

ومن ناحية أخرى الادعاء بأن حرية التعبير مطلقة ، ومن حق أى صحفى أو كاتب فى الدانمارك أو فى غيرها من الدول الأوربية ، أن يزدرى الأديان علنًا ، أو أن يسخر من الإسلام كدين أو من رموزه الدينية وأولها رسول الإسلام ﷺ ، فهذه فى الحقيقة دعاوى باطلة لا أساس لها ، وإذا كانوا فى فرنسا كما ادعت جريدة فرانس سوار - وهى بالمناسبة من جرايد الفضائح فى فرنسا - من حقهم أن يسخروا من الله سبحانه وتعالى كما يزعمون !! فليس من حقهم أن يفرضوا عاداتهم الفكرية أو قيمهم الثقافية لا على الإسلام كدين ولا على الشعوب الإسلامية .

---

(١) الجمهورية ٢٠٠٦/٢/٢٠ .

ولقد كان المسلك الدانماركي خصوصًا والمسلك الأوربى الصحفى عمومًا درسًا من دروس الحماقة السياسية ، .. أشعلتها الدانمارك ، وجرت وراءها الصحافة الفرنسية والألمانية والنرويجية .. إلخ ، والتى شاركت جميعًا فى استفزاز مشاعر المسلمين فى كل مكان ، والتى أدت إلى مظاهرات حاشدة ، وإلى مقاطعة للمنتجات الدانماركية .

والواقع أننا الآن نشهد حالة نموذجية لما أطلق عليه صموييل هنتجتون (صراع الحضارات) وإن كان من الأسلم أن نطلق عليه (صراع الثقافات) (١) .

إن التبرير الغربى للدفاع عن الصحف التى أساءت إلى الرسول ، تحت إدعاء مسمى حرية التعبير ، وأن الغرب لا يعرف سقفًا لحرية التعبير هو لون من النفاق والتزييف على حد قول الدكتور محمد عمارة، المفكر الإسلامى ، حيث إن الإساءة إلى الرسول ﷺ موجودة فى التراث الغربى حتى قبل النهضة الأوربية ، وقبل أن يعرف الغرب ما يسمى بحرية التعبير .. إن الحرية نسبية ، وأن الحرية تنتهى عندما تبدأ حرية الآخرين ، كما قال فولتير المفكر الأوربى المشهور . فكيف تستباح حرية أكثر من مليار ونصف من المسلمين ، إذًا حرية التعبير محدودة لأن لها سقفًا تقف عنده ، ولا علاقة بالآخر .

ورغم فعالية المقاطعة الذى يؤمن بها الدكتور عمارة إلى أنه أشار إلى دور الحكومات إلى التقدم إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، حتى يكون هناك قرار ملزم باحترام جميع المقدسات الإسلامية والوضعية

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٩

أيضًا ، كما أكد الدكتور عمارة أيضًا على أهمية الحوار رغم الحوار بيننا وبين الآخرين (الغرب) لا يسير فى الطريق الصحيح ، لأننا لم نعد الذين يقومون بالحوار إعدادًا جيدًا ، وتجاهل الغرب لمبادئنا وقيمنا وثقافتنا [١] .

فلكى ينجح الحوار لابد من المساواة التامة بين الطرفين أو بين أطراف الحوار فلا يمكن لأحد أن يفرض إرادته وشروطه ، وأن تكون هناك قضية أو قضايا محددة يتحاور الجانبان بشأنها ، وأن يكون هناك مناخ مناسب للحوار يبتعد عن الأحكام السابقة والمفاهيم المغلوطة ، لذلك فإن أى حوار يراد له النجاح لا يجوز أن تكون غايته العمل على إلغاء الآخر واستبعاده أو التقليل من شأنه .

فى عام ١٩٩٣ طرح المفكر الأمريكى صمويل هنتجتون رؤيته الجدلية حول صدام الحضارات التى تنبأ فيها بأن الصراع القادم بعد انتهاء الحرب الباردة سيكون بين الحضارتين الإسلامية والغربية . وترجع حتمية هذا الصراع ، من وجهة نظر هنتجتون ، إلى اختلاف الأفكار والأيديولوجيات ولكن القراءة المتأنية لكتابه الذى اختار له عنوان (صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمى) تكفى لإدراك حقيقة أن اختلاف الأفكار والعقائد ليس هو سبب هذا الصدام ، بل عدوانية إحدى الحضارات وعنصريتها تجاه الحضارات الأخرى . لسبب بسيط هو أن أبسط مبادئ الديمقراطية التى يتشدق بها الغرب ، احترام ثقافة الآخر ومعتقداته ومقدساته .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٤

ولقد طرح هنتجتون فى كتابه أحكامًا مسبقة وظالمة ضد الإسلام بالتحديد واتهمه أنه عقيدة دموية وعدوانية بطبيعتها ! نفس هذا الموقف اتخذه المفكر الأمريكى فرانسيس فوكوياما من خلال كتابه (نهاية التاريخ) ففى هذا الكتاب اعتبر فوكوياما الرأسمالية منتهى التطور الأيديولوجى للإنسانية بعد أن كسبت الحرب ضد الشيوعية وجميع الأيديولوجيات الأخرى .. وفى ديسمبر ٢٠٠٥ ألقى فوكوياما محاضرة فى باريس هاجم فيها الإسلام وقال إنه يشكل تهديدًا للحضارة الغربية ، وأن المسلمين يفتقدون قيم التسامح والديمقراطية . ثم أوصى فوكوياما ، الذى يعمل فى أحد مراكز الأبحاث التابعة للقوات الجوية الأمريكية ، بتوجيه ضربة استباقية للإسلام من أجل تقليل الخسائر التى قد تلحق بالغرب فى صراع الحضارات !

هذه العدوانية العنصرية يتبناها أيضًا صقور المحافظين الجدد فى أمريكا دون الحاجة لإعلانها بهذا الشكل الفج والوقح .. والعالم كله يتذكر كيف وصف الرئيس الأمريكى بوش الحرب التى أشعلها ، بعد هجمات سبتمبر، بأنها حرب صليبية .. ليس هذا فحسب بل إننا لا يمكن أن نتجاهل تلك الدعوة التى أطلقها توم تانكريدو العضو الجمهورى بمجلس النواب الأمريكى فى الرابع من يوليو الماضى ٢٠٠٥ لضرب مكة المكرمة بالقنابل النووية ردًا على أى هجوم إرهابى ضد الولايات المتحدة .. وكما يقال فقد شهد شاهد من أهلها عندما أكد الرئيس الأمريكى السابق بيل كلنتون قبل أيام قليلة أن موجة العداء للإسلام والمسلمين فى الغرب يمكن أن تحل محل العداء للسامية (اليهود) التى سادت الغرب قبل الحرب العالمية الثانية .. وهكذا لا يمكن النظر إلى

البذاءات التى تنشرها الصحف الغربية سواء فى الدانمارك أو غيرها على أنها مجرد تعبير عن حرية الرأى كما يزعمون. غير أن تجربة الدانمارك ربما تكون مجرد فتيل أراد البعض إشعاله للتعجل بانفجار صراع الحضارات وهو فى واقع الأمر عدوان مدبر ضد الإسلام .

والسؤال المهم هو ، هل يمكن أن تكون هذه البذاءات مجرد مناوشات تسبق الصدام الذى يتحدثون عنه بين الحضارتين الغربية والإسلامية ، أو الضربة الاستباقية التى يطالب بها فوكوياما ضد الإسلام والمسلمين ؟

نعم ، التفسير التآمرى للتاريخ خطأ لا جدال فيه .. ولكن تجاهل الحقيقة ، مهما كانت مؤلمة ، جريمة لا يمكن التسامح معها وخطيئة غير قابلة للغفران .. (١) .

وما حدث من الصحيفة الدانماركية ما هو إلا حلقة هزيلة من حلقات هذا المسلسل البغيض ، الذى تتواصل حلقاته بكل ما فى التاريخ من حقد أسود وضغائن مريضة وعنصرية وتعصب - كما سبق القول - واستهزاء ببشريتهم ووجودهم ، وهو بذلك بقعة جديدة فى صفحة سوداء فى تاريخ الإنسانية يثبت الإرهاب المفرط للحضارة الغربية ، التى تدعى التقدم والتمدين والإنسانية وتتشدق بحقوق الإنسان .

لا يمكن أن تتحول البذاءة إلى حرية رأى وأن يتحول الإجرام فى حق الآخرين إلى حرية تعبير !!

---

(١) أخبار اليوم ٢٠٠٦/٢/٤ ، مقال بعنوان " العنصرية والتجربة الدانماركية " للكاتب حسين عبد الواحد .

الرسوم تنم عن عنصرية لا لبس فى ذلك ولاشك ، ورد الفعل فى الشارع الإسلامى جارف ، فهل مثل هذه العواطف الجارفة متوقعة فى مثل هذه الأحوال نعم بالتأكيد وأكثر ، إذن هى عملية محسوبة العواقب، تستهدف الدفع إلى إثارة الغضب العارم للمسلمين ، تشير إلى ذلك الأستاذة مها عبد الفتاح الصحفية بمؤسسة الأخبار حيث ذكرت إنها عملية مقصودة ومفتعلة من فئة معينة ، والمستهدف فيها أولاً هم المهاجرون المسلمون ، والحملة التى بادرت بها تلك الصحيفة (يولاندز بوستن) هى تكثيف لهذه الفئة أو تلك التيار السياسى العنصرى ، يحاول أن يثير الشعوب الأوربية ضد المهاجرين .. فما حدث فى الدانمارك ويجرى فى أوربا على نحو آخر يماثل بالتوازى عهدًا من الرسوم المعادية للسامية ، انتشرت فى ثلاثينات القرن الماضى من خلال صحف الفاشيست والنازى تصور اليهود كعنصر أدنى من البشر، وكانت تلك هى المقدمة كما تبين فيما بعد إلى أحداث (الهولوكست) . واليوم نجد مثل هذه الرسوم والافتراءات ، ودفع المسلمين دفعًا إلى الغضب العارم ، يأتى منظمًا ومتتابعًا ، كما لو كان يعد الرأى العام فىأوربا ليتقبل حروبًا جديدة وموجات طرد بالجملة للمهاجرين .

وتعالوا نكشف، عمن يكون فلمنج روز هذا محرر الشئون الثقافية أو بالأصح الشئون العنصرية فى الصحيفة الدانماركية السالفة الذكر ، الذى قام بدور الأداة فى اندلاع هذه الفتنة .. إنه صديق مقرب لمن يدعى (دانيل بايبيس) وهذا أمريكى معروف بأنه على رأس قائمة الأعداء الزمنين لكل ما هو عربى وإسلامى ، وقد نال الرضا فى عهد الإدارة الأمريكية الحالية بضمه إلى معهد السلام فى واشنطن ، أحد مراكز الفكر السياسى ويموله الكونجرس ، فهل من المصادفات أن يأتى

فلمنج روز إلى واشنطن فى العام الماضى ويلتقى مع صديقه (بايبس) ثم لا يتفتق ذهنه عن تلك المبادرة السيئة إلا بعد تلك المقابلة بينهما ، هـذا المحرر الذى يتعلل بالحرية المطلقة فى التعبير ، كما يدعى سبق لـه ورفض فى عام ٢٠٠٣ أن ينشر رسومات تسخر من السيد المسيح عليه السلام ، أى أنه يدرك جيدا معنى المساس بالأنبياء ، وأثره على سـائر المؤمنين ، وقد تم نشر ذلك فى الصحف البريطانية(١) .

وتضيف الكاتبة قائلة : إن حرية التعبير فى أوربا نسبية وتتراوح ما بين بلاد وأخرى ، ومعظم الديمقراطيات الغربية لها قوانينها التـى تمنع التعرض بالخطاب أو النشر لبعض الأمور ذات الحساسية الخاصة. وإنما هذا التيار يريد للسياسة الرسمية فى أوربا وللإعلام الأوربى ، أن يقعوا تحت تأثير الفكرة فى أن كل مسلم هو إرهابى محتمل ، أو يكمـن بداخله إرهابى ينتظر لحظة ما ، وأن تلك المظـاهرات فـى الشـارع الإسلامى ، والعنف الذى تخلل بعضها هو قرينة لتأكيد هـذا التصـور الذى يريدون إلصاقه بالمسلمين عامة(٢) .

وبينما يتغنى الغرب بمفهوم (حرية التعبير) للتدليل على تفوقـهم ومثاليتهم يقوم فى الوقت نفسه بخرق ذلك المفـهوم فـى العديـد مـن المواقف ، ووضع خطوط حمراء تتوقف الآراء عندها ولا يتعداها .

ففى الدانمارك نفسها يحظر القانون أى تهديد أو إهانة أو حط مـن شأن أى إنسان بصورة علنية بسبب الدين أو العرق أو الخلفية العرقية .

---

(١) أخبار اليوم ٢٠٠٦/٢/١٨ ، مقال بعنوان " لا للتعميم ولا للعقاب الجمـاعى منـا أو علينا " .

(٢) المرجع السابق .

وفى فرنسا أقر مجلس الشعب عام ١٩٩٠ قـــانون (فـــابيوس – جيسو) الذى يحظر مجرد مناقشة وقوع محرقة النازية (الهولوكست) فى الحرب العالمية الثانية .

وذكر موقع مجلة (صحة الإلكترونية) أنه فى يونيو ١٩٩٥ تـــم تغريم (برناردو لويس) الأستاذ فـــى جامعـــة برنســتون الأمريكيـــة والمتخصص فى تاريخ الدولة العثمانية مبلغًا قـــدره ١٠ آلاف فرنـــك فرنسى لأنه أنكر أن الأرمن تعرضوا لإبادة جماعية على يـــد الدولـــة العثمانية فى بداية هذا القرن ، مؤكدًا أن الأرمن لقـــوا حتفـــهم بســـبب المرض أو الجوع أو الإرهاق أو البرد ، وهو ما أثار احتجاج الجاليـــة الأرمنية فى باريس .

وفى ألمانيا تحظر السلطات بيع كتاب (كفاحى) لهتلر أو شـراءه ، أو طباعته ، فيما وضع البرلمان الألمانى قانونًا يجرم أى حاولة لإنكـــار وقوع(الهولوكست)ويوقع بمرتكب هذه الجريمة عقوبة السجن ٥ سنوات.

وفى النمسا أيضًا تم تعديل القانون عام ١٩٩٢ بشكل يجـــرم أى محاولة لإنكار أو مدح أو تبرير من جرائم النازية .

وفى بريطانيا لايزال يعمل بقانون يمنع سب المقدسات فى كل من إنجلترا وويلز ، وعلى الرغم من ذلك ، فبعد نشر كتاب (آيات شيطانية) عام ١٩٨٨ ، حاول المسلمون استخدام القانون ضد المؤلـــف ســـلمان رشدى ، إلاأنهم فشلوا فى ذلك ، لأن القانون يعاقب على سب المقدسات المسيحية فقط . وفى النرويج مارس اللوبى اليهودى ضغوطًـــا شـــديدة على وزيرة المالية والاقتصاد (كريستين هالفورسين) حتى اعتـــذرت لإسرائيل عن تصريحاتها التى أبدت فيها مقاطعة السلع الصهيونيـــة ، تضامنًا مع الشعب الفلسطينى ، وعلى الصعيد نفسه أقام الغرب الدنيـــا

ولم يقعدها عندما شكك الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد مؤخرًا فى محرقة اليهود واعتبرها أسطورة (١) .

ويعد كل ما سبق ذكره مجرد أمثلة ، للمعايير المزدوجة التى طالما انتهجها الغرب فيما يتعلق بحرية التعبير .

وبناء على ذلك فإن حرية التعبير لا يجب أن تكون درعًا يختبئ وراءه من يوجهون الإساءة المقيتة للآخرين ، سواء عن عمد أو جهل ، وإذا كان هناك حسم تجاه كاتب أو مؤرخ بسبب إنكاره للمحرقة النازية لليهود (الهولوكست) على سبيل المثال أو قال رأيه بصراحة فى أمر ما ، فإن قضية الرسوم الدانماركية تستوجب حزمًا مماثلاً تجاه من وقفوا وراءها . لقد وصفت صحيفة (التايمز البريطانية) إير فنج الكاتب البريطانى بالعنصرى الذى تلاعب بالحقيقة لأنه قال : إن كل ما يتردد حول المحارق وأفران الغار ليس سوى خرافة ، وقالت (الأندبندنت) أنه مزور التاريخ ، ولكن الحقيقة أن ارفينج هو المؤرخ الذى كشف عورة الغرب وفضح ازدواجيته(٢) .

إن العالم الإسلامى والمسلمين ملزمون بالدفاع عن أنفسهم فى مواجهة هذا الاعتداء المتواصل ليس فقط لمواجهة الإرهاب الدانماركى وإصراره العمد مع سبق الإصرار والترصد لمقدساتهم الدينية ، والعقائدية والحضارية ، ولكن لمواجهة كافة القوى المتربصة بنا ، وعلى رأسهم العدو الصهيونى .

---

(١) المصرى اليوم ٢٠٠٦/٢/٥

(٢) أخبار اليوم ٢٠٠٦/٢/١١ ، مقال بعنوان (ديفيد ارفينج فى قفص الاتهام) للكاتب أحمد عزت .

الجمهورية ٢٠٠٦/٢/٢٥ ، تحقيق صحفى بعنوان (الإساءة إلى الرسول " حرية تعبير " والتشكيك فى " الهولوكست " جريمة) .

يؤكد ما ذهبنا إليه المفكر الفلسفى والخبير فى مجال الحضارات والجيوسياسية الدكتور أنور عبد الملك فى حوار معه نشر فى الأهرام حيث يشير إلى أن أزمة الرسوم الدانماركية والإساءة إلى شخص الرسول ﷺ وراءها مخطط صهيونى يعمل على إشعال الفتن وتأجيج مشاعر الكراهية ضد الإسلام والمسلمين ، وخاصة الأجهزة الصهيونية المسيطرة على قطاعات الإعلام والمال وقطاع واسع من السياسة فى الغرب ، فضلاً عن تسلط الصهيونية على عصبة المحافظين الجدد فى البيت الأبيض الأمريكى ، والتى دفعت بالرئيس بوش الابن للحرب الإجرامية ضد العرب فى العراق .

ويرد الدكتور عبد الملك على دعوى حرية التعبير التى يتذرع بها الذين نشروا الرسوم المسيئة للرسول ﷺ قائلاً أن هناك مبدأ عامًا فى فلسفة القانون يرى أن الحرية تمتد إلى الحد الذى لا يعتدى على حرية الغير ، متسائلاً إذا كانت حرية التعبير فلماذا صدر الحكم بالسجن ثلاث سنوات ضد المؤرخ الإنجليزى دافيد ايرفينج - السابق الإشارة إليه - لعدم اعترافه بالمحرقة اليهودية خلال حرب هتلر ، على الرغم من تراجعه أثناء المحاكمة عن أفكاره ، فكيف يمكن اعتبار ازدراء الأديان والرموز الدينية حرية ومحاكمة فكر رجل ليس حرية تعبير ؟ المسألة إذن هى سياسة الغرب (الكيل بمكيالين) .

ومن أجل هذا يطالب العالم الإسلامى بسرعة مطالبة الضمير العالمى بإبرام ميثاق دولى يقيم العدل والاحترام المتبادل بين جميع المعتقدات الدينية للشعوب [١] .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٤ .

لكن ما يبدو عليه البعض فى الغرب من نزعة احتكار الحقيقة هو ظاهرة سلبية لا تتسق مع مفهوم الحوار ذاته ، ولعل ما حدث أخيرًا يكشف عن عمق التحديات التى تواجه حوار الثقافات .

فبينما كانت بعض الصحف الدانماركية تعيد نشر بعض الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للرسوم الكريم ﷺ بدا الأمر كاشفًا عن درجة كبيرة من التحامل على مشاعر المسلمين ، مقترنة بروح تربص لا تخطئها العين ، لاسيما مع إعادة نشر هذه الرسوم المسيئة بعد أربعة أشهر من تاريخ نشرها لأول مرة ، وفى توقيت مريب تعاصر مع عيد إسلامى هو عيد الأضحى المبارك ، وعلى نحو يكاد يوحى بسبق الإصرار والتربص يقول الدكتور سليمان عبد المنعم إن إعادة نشر هذه الرسوم قد كشفت عن ثلاثة أمور يستحق كل منها أن يصبح بذاته موضوعًا لحوار بيننا وبين العالم الغربى .

الأمر الأول : إن التطاول على العقيدة الإسلامية فى الغرب قد أصبح منذ عدة سنوات أمرًا ملحوظًا ومتكررًا ، بل وبدا سمته لبعض التصريحات السياسية وللعديد من ممارسات حرية التعبير .. رغم أن التشريعات الغربية ومعها المواثيق الدولية تحظر سلوك التحقير العنصرى والتحريض على كراهية الغير .. ولهذا فإن أحدًا لم يهتم كثيرًا يوم عرض فيلم سينمائى يجرح سينا عيسى عليه السلام ويسئ إليه ، ولم يتعرض أحد ممن شاركوا فى صنع هذا الفيلم إلى أية مساءلة قانونية ، ولا حتى مجرد التفكير فيها ، لكن ذلك لا يجوز القياس عليه لتبرير نشر الصور المسيئة للرسول الكريم ﷺ ، أو التهوين من شأن نشرها ، لا لأن الرموز الدينية المسيحية تقل قداسة عن الرموز الدينية

الإسلامية ، ولكن لأن الظروف والملابسات التى أحاطت بعملية النشر تقطع بتوافر النية فى الإساءة ، وقصد الحض على التمييز ضد المسلمين وكراهيتهم ، ولم تكن تلك النية متوفرة عندما عرض الفيلم الوقح والمسئ إلى السيد المسيح عليه السلام ، ومن المستقر عليه قانونًا فى جرائم التحقير العنصرى والدينى أن العبرة فى توافر الجريمة واستخلاص ركن القصد فيها هى بالظروف والملابسات التى فى ظلها وقع فعل التحقير أو الحض على الكراهية .

ومما لاشك فيه أن الظروف التى يمر بها العالم حاليًا وملابسات العلاقات المتوترة بين المسلمين وغيرهم ، وحملات العنصرية والتمييز التى يتعرض لها المسلمون فى المجتمعات الغربية باعتراف الغربيين أنفسهم . كل ذلك يشكل مناخًا يخرج بواقعة نشر الصور الوقحة من حدود الممارسات الطبيعية والمشروعية لحرية التعبير ، إلى درب أسفل من جريمة التحقير الدينى والحض على كراهية الغير ، لا لسبب إلا لكونهم يدينون بعقيدة بعينها ، ولعل واقعة إعادة نشر الصور المسيئة بعد عدة شهور من نشرها لأول مرة هى سقطة إضافية ، كشفت مجددًا عن نية التحقير وقصد الحض على الكراهية(١) .

الأمر الثانى : أن المبادئ والقيم الغربية العظيمة فى تكريس وحماية حريات الرأى والتعبير ، وفى حظر وتجريم صور التحقير الدينى والعرقى والعنصرى أصبحت تعانى فى السنوات الأخيرة من ازدواجية مأسوف لها ومأزق مأسوف عليه ، من جراء التمييز نفسه بين الإساءة للمسلمين والعرب والإساءة لغيرهم .. هذا التمييز فى حظر

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٤ .

التمييز يستحق حوارًا يتسم بالشجاعة والصراحة بيننا وبين الغـــرب ، ولعل أدق وأخطر ما كشفت عنه هذه الأحداث أنها قدمت العالم الغربـي غير عابئ ولا مكترث بمشاعر ومعتقدات المسلمين فى ذات الوقت الذى يبدو فيه شديد الحرص وبالغ الاستنفار بالنســـبة لمشــاعر ومعتقــدات الآخرين . بل إن العالم الغربى فى انحيازه لهؤلاء الآخرين قد أضفـــى على بعض المآسى والمظالم التى وقع اليهود ضحية لها صفة القداسة ، التى تحول دون التعرض لها بالتشكيك أو المراجعة أو حتى التدقيـق .. وإذا كان ذلك فى حد ذاته لا يؤذى أحدًا ولا يضير كل صاحب ضمـير إنسانى .. فإن نفس هذا الضمير الإنسانى يجب أن يتأذى من المعاملـــة المزدوجة التى يتعامل بها الغرب فى مواجهة ما تعرض له اليهود مـــن محارق ، وما تعرض له الفلسطينيون من مذابح ! ويجب أن يعــترض على الإساءات الموجهة للعرب والمسلمين ، قدر اعتراضه على تلـــك الإساءات الموجهة لغيرهم .. وإذا كانت إحدى الجامعات الفرنسية لـــم تتردد يومًا فى أواخر الثمانينيات فى إصدار قرار لا سابق له فى تاريخ الجامعات الفرنسية بسحب درجة الدكتوراة العلمية بعد إجازتها ومنحها، لأن الباحث صاحب هذه الرسالة كان قد شكك فى رقم ضحايا الحـــرب العالمية الثانية من اليهود ، فإن قليلاً من الإنصاف يقتضـــى أن يـــهب الأحرار والشرفاء وذوو الضمير فى الغرب كى يردوا أيضًا ما يتعرض له المسلمون والعرب من إهانات وإساءات أضحت ذات طـــابع شـبه منهجى فى الآونة الأخيرة.

الأمر الثالث : إنه قد آن الأوان فى ظل الحديث الدائر عن حـوار الثقافات وعلى خلفية الحدث الدانماركى ، لأن يواجـــه العـــالم بشـــرقه وغربه إشكالية الخلط الحاصل والالتباس الواقع بين ما يعـــد ممارســـة

لحرية التعبير من ناحية وبين ما يعتبر جريمة تحقير دينى أو عنصرى، أو حضًا على كراهية الغير بسبب دينه أو عنصره من ناحية أخـــرى ، أنها إشكالية بالغة الخطورة ذات جوانب قانونية وفكرية معًا. فى الجانب القانونى ينبغى التوافق على أن حرية الصحافة ومع الاعتراف بدورهـــا الضرورى فى مجتمع ديمقراطى ، فهذه الحرية ، كما تقول المحكمـــة الأوربية لحقوق الإنسان فى حكمها الصادر فى ٢١ ينـــاير ١٩٩٦ ، لا تعنى عدم مساءلة تجاوزات حرية التعبير ، متى كانت تنـــدرج تحـــت الأفعال المجرمة فى قانون العقوبات . والواقع أن فض الالتبـــاس بيـــن حرية التعبير وبين جرائم التحقير الدينى والعنصرى ، والحض علـــى الكراهية لن تكفى معالجته فقط على صعيد التشريعات والأطر القانونية الوطنية ، بل غدا الأمر يتطلب معالجته أيضًا على الصعيد الدولى مـــن خلال صك أو اتفاقية دولية تعيد هذا التوازن القانونى المفقود . أما فـــى الجانب الفكرى فإن حوار الثقافات أصبح يشكل ضرورة قصوى بيـــن العالم الإسلامى والعالم الغربى ، لكن آن الأوان لكى ينتقل هذا الحـــوار من دائرة النوايا الحسنة والعموميات إلى دائرة المبادرات وبرامج العمل .. ولعلنا فى هذا الإطار مدعون لأن نخرج بحوار الثقافات من دائـــرة المؤتمرات والندوات المغلقة إلى أوسع مشاركة للحوار ، تمثـــل فيـــها مؤسسات رسمية وحكومات ومنظمات مجتمع مدنى ومثقفـــون تحـــت مظلة الأمم المتحدة ، لأجل البحث عن مبادرة تصالح كبرى بين ثقافات إنسانية أنهكتها الحروب والصراعات ، وغدت شكوكها المتبادلة قـــوى السياسة وصناعات الدمار ! [١] .

---

(١) المرجع السابق .

إذا كانت محاولات معالجة أزمة الرسوم الدانماركية قد اتسمت كلها بأنها محاولات سياسية وقانونية ، أو اقتصرت على السعى إلى تجنب العواقب السلبية التى يمكن أن تؤثر على العلاقات السياسية ، والاقتصادية بين طرفى الأزمة (بصرف النظر عن الأيدى الخفية التى أشعلت شرارة الأزمة بتنبيهها إلى الرسوم بعد شهور من نشرها) .. إذ كانت تلك المحاولات قد اتسمت كلها بذلك الطابع السياسى والقانونى ، فقد أكد الكثيرون أن الحوار بين الطرفين (الأوربى/المسيحى بطوائفه أو مذاهبه والإسلامى بمذاهبه وطوائفه أيضًا) هو السبيل لتجنب تكرار مثل تلك الأزمة، عن طريق تبادل الطرفين المعرفة الموضوعية والصادقة أحدهما بالآخر .. ومثل هذا الحوار لا يمكن إلا أن يكون حوارًا ثقافيًا شاملاً .

وما نقصده بالحوار الثقافى (الشامل) هو أن يشمل الحوار - إلى جانب تبادل المعرفة الموضوعية بأصول العقيدة الدينية لكل من الطرفين - تبادل المعرفة الموضوعية أيضًا بالكيفيات التى تجلت بها العقائد فى الواقع الاجتماعى/المعرفى/السياسى لكل من الطرفين على اتساع المدى الزمانى والمكانى الذى شغلته العقيدتان، ودوافع تكوين تلك التجليات (الواقعة) أو الفعلية ، وتأثير السلوك الفعلى لكل طرف فى توليد (رد الفعل) من جانب الطرف الآخر الذى استهدفه السلوك المقصود ، سواء كان (رد الفعل) سلوكًا مليًا (مثل تصاعد الدعوة إلى " الجهاد " فى العالم العربى ضد الغزوات الأوربية - التى سماها الأوربيون " الحملات الصليبية " - وتحول هذا الجهاد من تسامح صلاح الدين المشهور - رغم صلابته فى الحرب - إلى تصلب

المماليك حتى قسوة أخر من طرد الأفرنج من عكا ، السلطان الأشرف خليل ، أو فعل تصاعد المقاومة الأوربية للغزو العثمانى حتى تصل من مجرد " صدّ " حصار مدينة إلى تدمير أسطول أو " تحرير " بلد بكامله بالقوة الجماعية المسلحة ، أو تحول المقاومة الفلسطينية من " قصائد " الشعراء إلى عمليات " الفدائيين " إلى خطف الطائرات ونسفها أو اغتيال الرياضيين أو تفجير حافلة لأطفال المدارس فى مقابل إبادة قرية أو سكان مخيم بكامله ، بالقنابل أو بسناكى البنادق ورصاصها !!) .. أو سواء جاء رد الفعل فى صورة " مسرحية " - كلامية مثل مسرحية فولتير نفسه (وهو كبير التنويريين الأوربيين وزعيم عصر العقل غير المنازع) عن " التعصب " حول سيرة رسول الإسلام ، أو جاء رد الفعل فى صورة " أبحاث " مكتوبة حسب غالبية " أشكال " مناهج البحث " العلمى " أو فى صورة " مداخل " معرفية تحتويها مؤسسات محترمة ، أو كتب تثقيفية وتعليمية " معتمدة " تصدرها جامعة من أعرق وأهم الجامعات الأوربية (بل العالمية) مثل كتاب " تاريخ كامبريدج للإسلام " الصادر عام ١٩٧٣ (قرب نهاية القرن العشرين ، والذى تشير إليه الباحثة الأمريكية والراهبة السابقة كارين ارمسترونج فى كتابها البالغ الأهمية " الحرب المقدسة " فى صفحة٥٧٤ من الترجمة العربية التى صدرت من دار الكتاب العربى - بيروت عام ٢٠٠١ من ترجمة الأستاذ سامى الكعكى) .. وهى إشارة إلى مثال يأتى ضمن عشرات الإشارات إلى " أمثلة " أخرى فى الكتابة تؤكد أن العقل الليبرالى (التنويرى أو الحداثى) الغربى السائد يحتاج إلى الكثير من " التنوير " وإلى تعميم مبادئ التنوير - التى ابتكرها أو أعاد اكتشافها - على كل

ثقافات - وديانات وأعراق - البشرية .. إضافة إلى حاجته إلى إعـادة " تثقيف " نفسه بالمعرفة الموضوعية عن الآخرين .. عقائدهم وأصولها ، وكيفيات تجلياتها عبر الزمان ودوافع كل من تلك التجليات وتأثير سلوك الغرب نفسه فى توليد ردود أفعال أصحاب تلك الثقافات والمؤمنين بتلك العقائد(١) .

فلاشك أن إساءة الرسوم الكاريكاتيرية إلى مقدساتنا هى جريمـــة بكل المقاييس وليست ما يدعى الغرب حرية تعبير . . . إلخ .

إنها إساءة إلى ديننا الإسلامى ونبينا محمد ﷺ ، ولتنفيــذ إجــراء حضارى يحسم هذا الموضع يجب العمل على إيجاد حل جماعى عربـى وإسلامى من خلال المنظمات الدولية والقانون الدولى لوضــــع إطــار قانونى يحمى الأديان السماوية والدين الإسلامى من الإساءة إليه أو إلــى نبيه ﷺ أو أنبياء الله أجمعين عليهم الصلاة والسلام .

---

(١) الأهرام عدد الجمعة ٢٠٠٦/٢/٢٤ ، مقال بعنوان الرسوم الدانماركية وأزمة العقـــل الليبرالى للأستاذ سامى خشبة .

الفصل الثامن

أهداف الإساءة إلى الرسول ﷺ

أهداف الإساءة إلى الرسول ﷺ

في هذا الفصل نتناول أهداف هذه الإساءة الموجهة إلى أهم رمز من رموز الإسلام ، وهل هذه الرسوم جاءت عفوية ؟ أم أنها حملة ضمن حملات الحقد على الإسلام ورموزه وشعوبه ؟

رأينا من خلال معطيات الصحف ، وما كتب من تعليقات وتنديدات وتحليلات فكرية ، أن معظم الكتاب والمفكرين يرون أن القضية ليست قضية رسوم كاريكاتيرية نشرتها صحيفة دانماركية في الدانمارك ، وإنما القضية أعمق من هذا ، إنها حملة شرسة يتعرض لها الإسلام والمسلمون لتشويه صورة الإسلام ، ووصف المسلمين بالإرهاب ، وقد تزايدت هذه الحملة بعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ التى تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية .. واتخذت هذه الحملة أشكالاً عديدة بدأها الرئيس بوش الابن نفسه حينما قال إن أوربا وأمريكا تتعرض لحملة صليبية على أيدى المسلمين (١) .

وقد تواصلت موجة العداء للإسلام فى الإعلام الغربى فنجد مجلات أمريكية وأوربية كبرى تنشر فى صفحاتها وعلى أغلفتها صوراً للمساجد وبجوارها البنادق الآلية ، وأصبحت صورة المسلم الملتحى أو المرأة المحجبة أو الملتزمة مثار سخرية واستهزاء بدعوى أنها نموذج للتخلف والإرهاب وكان آخر مظاهر الموجة العدائية للإسلام ، والتى بلغت حدًا لا يمكن لمسلم أن يتخيله هو نشر صحيفة دانماركية مغمورة

---

(١) أخبار اليوم ٢٠٠٦/٢/٤ .

صور كاريكاتيرية فى صدر صفحاتها زعمت أنها لسيدنا محمد ﷺ ووصفته بالإرهاب والتطرف ، وأثارت هذه الصور التى تداولتها العديد من وسائل الإعلام والصحف الغربية بالذات موجة عارمة من الغضب فى العالم الإسلامى ، تستحق منا أن نقف على أهدافها ، ونبحث عن الأسباب التى أدت إلى نشر مثل هذه الرسوم وتناقلها فى الصحف الأوربية .

يقول الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية فى مؤتمر عام عقد فى القاهرة للرد على تلك الإساءات ، ونشرت فعالياته كافة الصحف المصرية أكد فيه أن الاعتذار الدانماركى لا يكفى ، ثم أشار أن هذه الرسوم جاءت ضمن مخطط يمارسه الأعداء لتشويه صورة الإسلام .. وأن هناك من يتعمد توسيع الفجوة بين المسلمين والغرب بهدف عزل الإسلام ، بعد دخول عدد كبير من الغربيين فى الدين الإسلامى (١) .

وفى مقال بعنوان " أيدى خفية " نشرته الأهرام أكد مفتى الديار المصرية أنه لابد من التعامل الإيجابى مع هذه الأزمة، ودعا إلى احترام الأديان السماوية والأنبياء ، ودعوة المثقفين الغربيين لزيارة مصر لمعايشة النموذج الإسلامى المسيحى ، وإلى تفعيل حوار الحضارات والثقافات ، مدللاً على وجود أطراف خفية وراء إشعال الفتن – أنه بعد اعتذار الصحيفة الدانماركية التى أساءت إلى شخص النبى ﷺ ، راحت وسائل الإعلام ومواقع الإنترنت وغيرها ، تروج شائعات تؤكد وجود نية لإحراق المصحف الشريف بميادين الدانمارك وكوبنهاجن .

---

(١) آفاق عربية ٢٠٠٦/٢/٢٣ .

ويصرح الدكتور عبد الصبور شـاهين بـأن لإسـرائيل ولليـد الصهيونية دخل فى هذه الوقيعة بين الدول الإسلامية والأوربيـة ، وأن هذا هو هدف صهيونى لصالح إسرائيل (١) .

وجاء فى مقال بعنوان (من يخطط لضرب العلاقات مع أوربـا) يرى فيه المفكر والسياسى الدكتور محمد السيد سعيد أن تلك الأزمة لـم تبدأ ولم تتبلور إلا بفعل عوامل تحريك ، ومن الدلائل على ذلك أن مـا نشرته الصحيفة الدانماركية حدث فى سبتمبر ٢٠٠٥ ، ومع ذلـك تـم التحريض أو التسخين على حد قوله ضد الدانمارك وأوربا خلال شـهر فبراير ٢٠٠٦ أى بعد ثلاثة أشهر من العلم بالواقعة . ومن ثم يبـدو أن ثمة قوى منظمة وكبيرة تحدد للعرب من يقاطعون ؟ ومن لا يقاطعون ؟ ويصرفون العرب للتصعيد السياسى ضد أوربا . لذلك يجب أن نفـهم لماذا نندفع دفعًا للتركيز على ضرب علاقتنا بأوربا ؟

ويرى فى النهاية أن المستفيد الأكبر هو أمريكـا وإسـرائيل لأن الحكومة الدانماركية الحالية كانت ولاتزال لها مواقف مؤيدة للمـهاجرين العرب والمسلمين وتساند القضية الفلسطينية (٢) .

وتحت عنوان (العنصرية والتجربة الدانماركية) أشـار كاتبـه الصحفى حسين عبد الواحد أن الرسوم الدانماركية ما هـى إلا امتـداد لأفكار صمويل هنتجتون التى ضمنها كتابـه (صـدام الحضـارات) لاختلاف الأفكار والعقائد ، ويرى الكاتب أيضًا أن اختـلاف الأفكـار والعقائد ليس هو سبب هذا الصدام فحسب بل عدوانية الغرب وعنصريته

---

(١) الأهرام٣ فبراير ٢٠٠٦ .
(٢) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٣ .

تجاه الحضارات الأخرى ، لأن أبسط مبادئ الديمقراطية التى يتشدق بها الغرب احترام ثقافة الآخر ومعتقداته ومقدساته [١] .

ويؤكد هذا المسلك الدكتور مصطفى عبد الغنى فى مقاله فى الأهرام أن الغرب مازال يحمل الوجه البشع الذى يطل علينا فى الأزمات التى تعانى منها أوطاننا العربية ، وخاصة عالمنا الإسلامى وآخر هذه الأزمات هى أزمة الرسوم الدانماركية ، التى تشتعل أوارها الآن، وأن أوربا لم تتغير قناعتها، وإنما ازدادت شراسة فى التعبير بشكل يؤكد موقفها العدائى .. فرئيس تحرير جريدة كارستن جيت الدانماركية نجده فى عديد من رؤساء التحرير الأوربيين ، بالشكل الذى نجده فى رجال البرلمان الأوربى .. بالشكل الذى نجده حتى فى المؤتمرات المشتركة بين العرب والغرب .. فالغرب غرب ولن يتغر أبدًا [٢] .

وأن اعتذار الجريدة الدانماركية والحكومة الدانماركية لم يأت إلا تحت ضغط شديد ، أمام ازدياد السخط والغضب الذى تمت ترجمته إلى قرارات ، بدأت بمقاطعة السلع الدانماركية فى الأسواق العربية والإسلامية ، ورضخت حرية الصحافة والرأى والتعبير التى كانت تتشدق بها الجريدة والحكومة لسيطرة رأس المال .

وإن كان من باب أولى بالصحيفة والحكومة الدانماركية أن ترضخ لمشاعر مليار و ٣٠٠ مليون مسلم فى العالم ، وأن ترضخ لعدم المساس بالقيم الدينية التى نصت عليها كل القوانين الدولية ومنظمات

---

(١) أخبار اليوم ٢٠٠٦/٢/٤ .
(٢) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٠ .

حقوق الإنسان ، وأن ترضخ للحفاظ على علاقات طيبة تربط الدانمارك بالدول العربية والإسلامية[١] .

واعتبر بعض الكتاب اعتذار الحكومة الدانماركية والصحيفة التي نشرت الرسوم ، فرصة عمر شرط أن تتيح لنا هذه الجريدة فرصة تعرف الشعب الدانماركي على وجهة نظرنا ، ويتعرفون على الإسلام ، ويعرفون أن حرية الإنسان التي هي البند الأول في ميثاق الأمم المتحدة تناولها عمر بن الخطاب ، عندما قال لعمرو بن العاص متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ نتحاور معهم ، ونقول لهم نرفض الهجوم على أية عقيدة ، ونرفض التطاول على أي رسول لأننا ، نؤمن بكل الأنبياء، ونحترم كل الرسالات، ومحرمة علينا الإساءة لأي رسول.

ويؤكد الكاتب الصحفي إبراهيم حجازي أن قضية نشر الرسوم ليست حرية تعبير كما ، يدعون إنما هي تنفيذ لمخطط هدفه الإساءة إلى الإسلام ، ومن ثم ضرب العقيدة الإسلامية ، وأشار إلى أن المخطط مستمر إلى أن يتم تفريغ الإسلام من قيمه ومبادئه وبعدها يتم ترويضه ليقبل أخلاقهم وعقائدهم، وإذا كانوا يدعون حرية التعبير ، لماذا لم يقتربوا من اليهودية خوفاً من جماعات الضغط الصهيونية، التي لا يجرؤ واحد مثل رئيس الوزراء الدانماركي على القول بأن الموضوع حرية تعبير ، لعلمه بأن اليهود سيدهسونه بأحذيتهم !![٢] .

ويقول السفير عصام الدين جواس ممثل مصر لدى الأمم والوكالة الدولية للطاقة بفيينا سابقاً : إن الغرب يحارب نفسه منذ زمن بعيد ،

---

(١) أخبار اليوم ٢٠٠٦/٢/٤ . مقال بعنوان (هل نقبل الاعتذار) إيمان نور .
(٢) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٠ .

البروتستانت حاربت الكاثوليك والعكس ، والمسيحيون حاربوا اليهود والعكس ، وما حدث من الصحيفة الدانماركية تجاوز الخطوط الحمراء، فالإسلام مستهدف من الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية منذ سبتمبر ٢٠٠١ – كما سبق القول – بشكل واضح .

فهناك يوميًا حملات ظالمة فى مواقع مختلفة ضد الإسلام ، مع أن الدين الإسلامى هو دين سلام ، فهى حرب ضد العرب والمسلمين ، وإيران تحارب لأنها دولة إسلامية تطلعت لأخذ الخبرة النووية ... إلخ.

ولمنع هذه الإساءات إلى جانب المقاطعة الاقتصادية – يجب ترجمة الكتب التى تتحدث عن سيد الخلق الكريم إلى اللغات الإنجليزية وغيرها ، ونشرها فى كل الأنحاء لكى يعرف العالم حقيقة نبى الرحمة محمد ﷺ الذى وهبه الله مكارم الأخلاق .. حتى لا نكون مقصرين فمن لا يعرف ؟ فله العذر إذا اشطط فى رأيه .

إلى جانب آخر هناك عقلاء لديهم الرغبة فى معرفة الإسلام .. فعلينا ترجمة الكتب التى تشرح الإسلام بطريقة عقلانية يفهمها العالم ، وعلى الحكومات العربية تدعيم الجاليات الموجودة فى الدول الأوربية للجوء إلى القضاء للقصاص .

واعتقد أن هذا الذى حدث من إساءات هو بدوافع مشبوهة للتغطية على ما يحدث فى فلسطين والعراق [١] .

ويذهب المفكر الفرنسى روجيه جارودى أن هذه الرسوم البذيئة الموجهة إلى شخص النبى الكريم ﷺ مؤامرة ضد المسلمين ، وأكد أنها

---

(١) الجمهورية ٢٠٠٦/٢/٢

جزء من سياسة الرئيس الأمريكي جورج بوش لإشعال الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية ، ودعا المفكر الفرنسي رجاء جارودي - الذي أشهر إسلامه منذ سنوات - المسلمين إلى عدم الانجواف وراء ردود الأفعال العنيفة في تعبيرهم عن الغضب ورفض الإساءة إلى الرسول الكريم ، لأنهم بذلك يخدمون أجندة الإدارة الأمريكية التي تريد تشويه صورة الإسلام والمسلمين أمام العالم ، وأكد أن حرق أعلام الدول الغربية ومهاجمة سفاراتها ومنشآتها في الدول الإسلامية يسئ لسمعة الإسلام والمسلمين ، وأشار إلى أنه من حق المسلمين الاحتجاج، ورفض كل ما يسئ إلى الرسول الكريم ولكن بالصورة التي تعبر عن الوجه الحقيقي والحضاري للإسلام من خلال التظاهر السلمي ، وإصدار بيان موحد يعبر عن جميع المسلمين يشرح أسباب الغضب ويتناول الموضوع على جميع المستويات ، حتى يعرف بوش أن المسلمين قادرون على اتخاذ قرارات موحدة ، وأنهم على درجة عالية من الوعي والإدراك .

وفي الوقت نفسه تتأكد الشعوب الغربية من كذب ما تروج له بعض وسائل الإعلام في الغرب عن همجية المسلمين .

ورفض جارودي ما يقوله بعض الغربيين عن حرية الرأي والتعبير كمبرر لنشر هذه البذاءات مشيرًا إلى محنته الشخصية عندما نشر كتابًا عن المحرقة اليهودية (الهولوكست) في ألمانيا أثناء فترة الحكم النازي والذي شكك فيه في حقيقة رقم ضحايا المحرقة من اليهود، وأنه لا يمكن أن يتجاوز المليون يهودي وليس ستة ملايين كما يروج اليهود ، وأضاف أنه تعرض للمحاكمة وصدر ضده حكم بالغرامة

المالية الباهظة ، ولم يتحدث أحد ساعتها عن حرية التعبير حيث ينظر الغرب إلى قضية (الهولوكست) باعتبارها خطا أحمر لا يمكن أن يقترب منه أحد [١] .

فالقضية ليست مسألة حرية تعبير كما يحاول بعض الأوربيين تجسيدها ، كما أنها ليست عملية وصاية من الدول الإسلامية على الأقطار الغربية ، أو ردود فعل عصبية اعتاد المسلمون عليها ، ولكنها مسألة بديهية تتعلق بالجوانب الديمقراطية والحضارية والإنسانية التى طالما ظلوا يتشدقون بها !! ولعل أول مبادئ الحرية الحديثة هى أن حدود حريتى تتوقف عندما تمس حريات الآخرين أو تسئ إليهم ، ومنذ قرون طويلة حدثنا ديننا الحنيف على احترام جميع الرسل والأديان ، وعدم الإساءة للأشخاص العاديين - مسلمين وغير مسلمين - سواء بالنميمة أو التجسس أو التنابذ بالألقاب .

قد تثور علامة استفهام لا مناص منها لماذا الإسلام دون غيره ؟ هو الذى يحرض الأوربيون على النيل منه ، والإساءة إليه ، هل إذا كانت الكاتبة البنغالية تسليمة نسرين غير مسلمة ووضعت كتابها اللعنة؟ كانت الصحافة الأوربية قد اهتمت به على النحو الذى حدث عندما وصفتها بأنها طريدة حرية الفكر والتعبير ، والشئ نفسه يذكر ويمكن أن ينصرف أيضا على سلمان رشدى وروايته آيات شيطانية ، هذا الكاتب الذى استقبله الرئيس جورج بوش الابن استقبالا حافلا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ومن قبل هللت لأفكاره المنحرفة الصحافة الغربية كلها .

---

(١) أخبار اليوم ٢٠٠٦/٢/١١ .

وبعيدًا عن المكابرة والتبرير غير المنطقى وذلك الإصرار على إهانة المسلمين فى أعز مقدساتهم فإن الحجج التى يسوقها رئيس الوزراء الدانماركى بشأن انتصاره لحرية التعبير هى حجج واهية ، فضلاً عن أنها غير صحيحة ، لأن هناك جملة من القضايا ذات الصلة بتاريخ اليهود فى أوربا محظور حظرًا تامًا على جميع وسائل الاتصال الجماهيرية أن تتحدث عنها لا بالتصريح ولا حتى بالتلميح . وهذا معناه فى بساطة ووضوح أن أى مسئول دانماركى أو ألمانى أو نرويجى أو فرنسى يمكنه أن يتصل بإدارة التحرير فى أية صحيفة ليملى ما يشاء ، بل ويشارك فى وضع قواعد النشر . وكلنا يذكر مأساة العشرات من الكتاب والباحثين والأكاديميين ، وقد ذكرنا العديد منهم ، وإضافة إلى ذلك نذكر مأساة لأكبر باحث فرنسى يسمى (روبير فوريسون) الذى وضع كتابًا بعنوان (دفاع عن الذاكرة) أهداه إلى الذين يتهمونه بتزييف التاريخ ، وتحدث فيه بالأرقام والوقائع عن قضية غرف الغاز ، وانتهى فيه إلى أن (الهلوكوست) ليست أكثر من وهم .. نجحت الدعاية اليهودية فى جعله قداس الأقداس .

وقد لقى هذا الرجل عنتًا شديدًا فى حياته العملية والعلمية بعد أن التقى به أربعة من فتوات اليهود فى حديقة مدينة فيشى الفرنسية وأوسعوه ضربًا وركلاً ، ولم يتركوه إلا بين الموت والحياة مع ورقة مكتوب عليها ، حتى لا تعود ثانية إلى ما سبق أن أنكرته .

ولقد قدم المفكر الأمريكى المعروف (ناعوم تشوميسكى) لهذا الكتاب الذى كان فى الأصل أطروحة علمية فى قسم التاريخ المعاصر لنيل درجة الدكتوراة ، وبعد أن أجازت هذه الأطروحة جامعة (ليون) عادت وسحبت الدرجة العلمية من الباحث (روبير فوريسون) .

وحدث نفس الشئ مع آخرين فى جامعة (نانت) وجامعة (ورين) فى فرنسا ، وحذت بعض الجامعات الألمانية والهولندية حذو جامعات فرنسا ، وأمام ضغوط سياسية صعبة وثقيلة استصدر يهود فرنسا قانوناً يعرف باسم (جاسيو) الذى يمنع أى أكاديمى مهما كان وزنه أو ثقله أن يقترب من قائمة الموضوعات والقضايا الشائكة التى حددها يهود أوربا وعلى رأسها قضية (الهولوكست) (١) .

فهل نستطيع أن نفعل مثل ما فعله اليهود ونطالب المجتمع الدولى إلى العمل على استصدار قرار من هيئة الأمم المتحدة يجرم الإساءة إلى الأديان والنيل من رسل الله أجمعين ، والمقدسات والعقائد الدينية ، حتى لا تتكرر مثل هذه الإساءات مرة أخرى ، الإجابة نعم إذا توحدت الصفوف واجتمعت كلمة الأمة الإسلامية على كلمة سواء . وفى الفصل التالى نبين كيفية المواجهة ودور الأزهر والمنظمات الإسلامية فى هذا الشأن .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٤ . مقال بعنوان (لماذا العداء للإسلام) للدكتور سعيد اللاوندى .

الفصل التاسع

كيفية المواجهة ودور الأزهر

كيفية المواجهة ودور الأزهر

من كل ما سبق يتبين أن هدف الإساءة إلى الرسول ﷺ من خلال هذه الرسوم البذيئة التى نشرتها الصحافة الغربية هو الجهل والتحريض للكراهية ، والدعوة إلى العنصرية وإشاعة الغضب ، والصراعات بين المسلمين والأديان الأخرى .

وما هى إلا تكتيكات ونداءات صهيونية ووثنية عالمية مغرضة هدفها إشعال الصراعات الدينية بين الشعوب من جديد ، خلف ذرائع حرية الرأى والتعبير غير المبرر للنيل من الأديان والمقدسات الإسلامية والإساءة الجاهلة للنبى الكريم سيدنا محمد ﷺ ، وللخروج من هذه الأزمة يجب عدم الخوض والنشر لما يسئ للمقدسات والأنبياء والأديان بجهالة وتعصب وعنصرية ، وكذلك الالتزام بالضوابط والحيادية والحقائق والمعرفة والموضوعية والحرية المسئولة للتعبير عن الرأى لذا يجب توجيه خطاب إسلامى عالمى من خلال القنوات الفضائية ووسائل الإعلام الأوربية لمخاطبة ومحاورة الغرب بتعاليم الإسلام القويمة ، وتوضيح خصال الرسول الكريم ﷺ وفضله على البشرية .

وكل مسلم له دور وعليه مسئولية تجاه ما يحدث وكذلك هناك دور للأزهر والمؤسسات الدينية الأخرى يتحدث عنه الدكتور حسن الشافعى عضو مجمع اللغة العربية فيقول : إن هذه الهجمات يجب أن تزيد من إصرارنا وتقوى عزيمتنا فالله تعالى يقول : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ

الأُمُورِ ﴾ (آل عمران : ١٨٦) . وأن لكل هيئة نصيباً في الغيرة والدفاع عن الإسلام بما يتناسب مع جلالها ، وحيث أن الأزهر كيان إسلامي عريق ومرجعية إسلامية عالمية ، وله مواقف عديدة في نصرة دين الله سواء في الداخل أو في الخارج ، فكان أمرًا طبيعيًا أن يكون للأزهر دور كبير في مثل هذه الأزمة ، ولكن الغرب لا يتأثر ولا يشعر إلا بالمواقف التي تؤثر في مصالحه الاقتصادية ، وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية بيانًا يستنكر فيه هذه الإساءات وقام بتوزيع خطابات على السفارات والمؤسسات الغربية وغير ذلك من الجهود ، والأزهر منارة المسلمين يعرف أن هذه الإساءات لا تتكون من جولة واحدة ، وإنما يستتبعها جولات أخرى عديدة . لذا فدوره هو تحصين الأمة جيدًا ضد هذه الهجمات وليس فقط بالغضبة التي تتبع الإساءة مباشرة ، ولكن بالعمل للدين ونشر المفاهيم الصحيحة عن الإسلام داخل البلاد وخارجها، ولهذا لابد أن يتمسك الكيان الإسلامي ويتحد في مختلف أرجاء الأمة الإسلامية سواء على مستوى الأفراد أو الهيئات .

فضلاً عن ذلك يجب تفعيل دور المسجد كمؤسسة إسلامية تربوية، فالمسجد هو رسالة شاملة .. وليس دارًا للعبادة فقط ، فيجب إعادة دور المسجد مرة أخرى وأن يشمل عدة خدمات فيجب أن يكون به عيادة طبية ومركز لتحفيظ القرآن وفصول لمحو الأمية ومكتبة ثقافية وغير ذلك من الأنشطة التي تجعل المسجد جامعة شاملة وكيانًا إسلاميًا يتحد المسلمون من خلاله ويزودون عن مقدساتهم ، كما كان يحدث في عصر الرسول ﷺ [1] .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٠ .

وقد توالت ردود الأفعال من العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات الذين أدلوا بدلوهم فى هذا الموضوع من خلال المقالات والحوارات الفكرية والتحقيقات الصحفية التى ازدحمت بها صفحات الجرائد المصرية للرد على الإساءة الموجهة إلى شخص نبينا الكريم ﷺ ، وكيفية المواجهة ، ويرصد هذا المبحث الكثير من هذه المواقف يقول الدكتور محمد عبد المطلب الأستاذ بجامعة عين شمس : أنه لابد على المسلمين أن يحترموا ثقافاتهم وتراثهم ودينهم حتى يحترمهم الآخرون ، وذكر أن يجب علينا أن نخرج من نطاق الضعف الذى نعيش فيه ونواجه الغرب مواجهة الند بالند ثقافيًا ، وحمل على فئة العلمانيين الذين يقفون دائمًا مع الغرب وأفكاره . وحمل علماء الأزهر الشريف المسئولية فى مواجهة الغرب وتقديم الإسلام فى صورته النقية ، وركز على المقاطعة ، فلن يضيرنا أن نعود إلى الخيام نحيا على التمر واللبن مع احتفاظنا بديننا وهويتنا وشخصيتنا وثقافتنا واحترامنا لأنفسنا .

أما العالم الدكتور حسين نصار الأستاذ بآداب القاهرة والحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية فيؤكد أن هناك موقفين يجب على المسلمين أن يتخذوهما ، الموقف الأول الرسمى لتقديم الاحتجاجات لدى الحكومات التى تسئ إلى الإسلام والرسول والمسلمين ، والموقف الثانى شعبى تقوم به مؤسسات المجتمع المدنى ومنظمات حقوق الإنسان [١] .

ينبغى علينا أن نستخلص العبر والدروس من تلك الهجمات حتى يتسنى لجميع الأطراف الإسلامية الرد على تلك الإساءات ، فالتعبير هو سلوك جماعي يجب حمايته مادام يخدم أى قضية اجتماعية

---

(١) الأخبار ٢٠٠٦/٢/٣ .

بحيث لا يشكل عدوانًا على الآخرين ، وينبغى أن يعلم الجميع أنـــه لا توجد حرية مطلقة إلا فيما يخص حرية الاعتقاد والتفكير . وحتى يتـــم توجيه إعلامنا بشكل صحيح يجب أن نلم بأبعاد القضية ، يشير المفكـــر الإسلامى والصحفى الشهير فهمى هويدى أن هناك عـــاملين أساســيين وراء ذلك الهجوم على الإســـلام أولـــهما الحساســية التاريخيــة إزاء المسلمين منذ الحروب الصليبية ، والتى مازالت أصداؤها فى منـــاهج التعليم والمراجع الثقافية فى الغرب ، أما العامل الثانى فـــهو عمليــات الإثارة والتحريض المستمرة التى تمارسها أبـــواق إعلاميـــة مدفوعـــة بالتعصب وبالكراهية على الإسلام والمسلمين .

إن الدفاع عن الإسلام ينبغى أن يتم بتقديم النمـــوذج الإســـلامى المحترم الذى يقتدى بسيرة النبى ﷺ وسنته ، فالذى دفع هؤلاء لمثل هذه الإساءات بعض النماذج السيئة ، بالإضافة لحالة الضعف الموجودة فـــى الأمة وعدم القدرة على الرد .

لذا فيجب أن يتحرر إعلامنا من قيوده ولكـــن حريـــة بمفهومـــها الصحيح ليست حرية مطلقة كما فعل هؤلاء الحاقدون ، فنحن نطـــالب بمزيد من الحرية للإعلام المسئول ، وعرض الدين الإسلامى وهـــدى النبى الكريم يستفيد من ذلك المسلمون قبل الغرب [١] .

فالذى تعلمناه من ديننا أنه دعوة عالمية قال تعـــالى : ﴿ وَمَـــا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧). ومعنى هذا أننا أمة دعوة ، ومقتضى الدعوة تبليغها للناس بصورة لافتة للنظر ، وعرضـــها على الناس بشروط قد حددها الله سبحانه وتعالى : أول هذه الشروط هو

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٠ . مقال بعنوان (دور الأزهر فى تحصين الأمة) .

حرية العقيدة وعدم الإكراه عليها ، قال تعالى : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف : ٢٩) . ومن شروط الدعوة أيضًا أن تكون بالحكمة والموعظ الحسنة، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل : ١٢٥) . ومن شروطها أن تكون على بصيرة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاوَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (يوسف : ١٠٨) .

يشير الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية أن أزمة الدانمارك كشفت عن أننا قصرنا فى عرض ديننا بصورة لافتة للنظر ، وهذا يستلزم منا مجهودًا علميًا ودعويًا يتجاوز ما نحن عليه الآن بصورة جذرية، ولكى نواجه مثل هذه الأزمة يضع مجموعة من العوامل أهمها:

١ - إرسال الكثير من البعثات من الأزهر الشريف للدراسة فى الغرب.

٢ - التوسع فى إنشاء كليات اللغات بجامعة الأزهر .

٣ - تقبل بعثات الآخرين من كافة الدول للتعليم فى الأزهر .

٤ - تفعيل دور الخريجيين من جامعة الأزهر للعمل بالمراكز الإسلامية بالخارج ، مع إتاحة الفرصة لهم للمعيشة فى هذه البلاد بصورة مستمرة .

٥ - إنشاء مرصد علمى تكون مهمته الرصد والتحليل لكل ما يكتب وينشر ويذاع عن الإسلام فى الخارج باللغات المختلفة ، ومناقشة وتجهيز البيان المناسب الواضح إزاء تلك القضايا ، وعدم ترك الأمور تتراكم حتى تصل إلى حد الانفجار .

٦ - إنشاء قناة فضائية تتكلم بالإنجليزية خاصة أمر فى غاية الأهمية .

٧ - عقد الكثير من المؤتمرات للحوار يدعى إليها رجـــال الصحافــة والإعلام والمفكرين من كل حدب وصوب .

٨ - إعداد مناهج متخصصة ودراسات عليا لدراسة الخلاف الحضارى بين الشرق والغرب ، وطرحها للحوار مـــع جميـــع المؤسســـات الفكرية والإعلامية والجامعية والثقافية .

٩ - تفعيل الاتفاقات القائمة بين جامـــة الأزهـــر وســـائر الجامعـــات والمؤسسات العالمية .

١٠ - إنشاء مراكز للترجمة والنشر من العربية وإليها ، للاطلاع علـى خلاصات التراث الإسلامى ومكونات العقل المسلم .

١١ - الاستفادة من التراث الإنسانى والتواصل بيننـــا وبيـــن العصـــر خاصة فى مجال البحث العلمى .

١٢ - بيان أخلاقيات البحث العلمى ونظر الإسلام إليه .

١٣ - الاهتمام بنقل التكنولوجيا الحديثة والعمل على اختراعها والإبداع فيها وليس استهلاكًا وتقليدًا فقط .

١٤ - الحفاظ على الهوية الإسلامية ، وعدم الذوبان فى الغرب .

١٥ - إصدار صحيفة بالإنجليزية يكون لها توزيع عالمى تشرح للنـــاس من هم المسلمون فى تاريخهم وفى واقعهم وفى أفكـــارهم وفـــى عقائدهم .

١٦ - إعادة التفكير فى أحوالنا وفى طريقة تفكيرنا ومحاولة إصلاحـــها حتى لا نعيب زماننا والعيب فينا .

١٧ - إعداد كفاءات عالمية فى تخصصات مختلفة لتفعيل هذا البرنامج السابق ذكره .

١٨ - تكوين إدارة واعية تدرك الواقع وتعالج الأمور بالحكمة والاستفادة من الأزمة ، والعمل على عدم تكرارها وكسب أرض جديدة منها حتى تكون المحنة منحة [١] .

وفى مقابلة تلفزيونية يدعو الدكتور على جمعة إلى مقاومة الحملة المسعورة باتباع النهج الإسلامى الذى يقضى بالصفح الجميل مشدداً على أن هذا الصفح لا يعنى النسيان أو التجاهل . ولكنه يعنى إعداد الخطط والأبحاث والدراسات العميقة التى تبين كيفية التعامل مع مثل هذه المواقف والحملات وشرح تعاليم ديننا ، وحقيقة قيمنا التى أمرنا بها خير البرية [٢] .

وإذا كان للمسلمين أن يغضبوا ومن حقهم أن يغضبوا لأن الكيل قد طفح بعد نشر الرسوم الكاريكاتيرية ، فإن من مسئوليتهم ومسئولية مفكريهم وعلمائهم ومثقفيهم أن يسألوا أنفسهم الآن ماذا بعد ؟ وما حقيقة ما نريد ؟ خصوصًا وأن الغضبة تجاه هذه الرسوم البذيئة خلقت حالة من الجدل الواسع ، وانتباهًا شديدًا فى الغرب والشرق على حد سواء للمخاطر التى يمكن أن تحدق بالإنسانية بأكملها ، نتيجة الاستقطاب الحاد الذى كاد يضع العالم الإسلامى فى مواجهة مع الغرب ، إن الأمر جد لا هزل فيه وربما يتكرر ويتصاعد ، إذا لم تتوقف النزعات العنصرية والسياسية والفكرية التى أشعلها وغذاها دعاة صدام الحضارات .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٠ .
(٢) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٤ .

وحتى لا نقع فى فخ الفوضى الخلاقة على حد تعبير محمد عيسى الشرقاوى . فتلاميذ هنتجتون صاحب نظرية صدام الحضارات يريدون أن يؤكدوا فكرة صراع الحضارات بين الدول الإسلامية والغربية ، حيث جاهر صحفى دانماركى هو فليمنج روثر بأن ما يحدث هو صدام بين الديمقراطية الغربية العلمانية والمجتمعات الإسلامية .

لذلك يحتم على العالمين العربى والإسلامى بأن يعتصما بالرؤية العقلانية ، وأن الحكمة تقتضى فى معالجة مثل هذه الأزمة الآن وليس غدًا، حتى لا نقع فى الفخ الذى ينصبه تلاميذ نظرية صراع الحضارات للعالم الإسلامى ، فهم يدفعوننا إلى مصيدة الفوضى الخلاقة ، وعلينا أن نكون أكثر حذرًا ، وأن نتواصل بالرأى والفكر والموعظة الحسنة [١] .

وأن نستخدم الأسلوب العلمى فى إدارة هذه الأزمة من خلال تكوين لجنة متخصصة مشكلة من الدول الإسلامية ، ومن الشخصيات المؤثرة ، والاستعانة بمنظمات ومؤسسات عالمية عديدة ، وبالعقلاء من غير المسلمين أيضًا فى الدول الغربية ، لمحاولة إصدار تشريع دولى لمنع معادة الأديان سواء اليهودية أو المسيحية أو الإسلام من خلال الأمم المتحدة ، وتلتزم به كل الدول [٢] .

وأكد الدكتور احمد عمر هاشم رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب ورئيس جامعة الأزهر السابق ضرورة التحرك الدولى من قبل المنظمات والهيئات العربية والإسلامية الرسمية ، للضغط على الأمم المتحدة لاستصدار قانون يجرم الإساءة للإسلام والأديان الأخرى ، بما

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٣ . تلاميذ نظرية صراع الحضارات ، تحليل إخبارى ، محمد عيسى الشرقاوى .

(٢) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٠ . بريد الأهرام - حاتم فودة .

يتفق مع نصوص هذه المنظمة الدولية ، وأشار إلى الاســتعداد لتقديــم مذكرة لمجلس الشعب المصرى يرفعها إلى الأمم المتحــدة مــن أجــل استصدار هذا القانون ، ودعا شعوب العالم الإسلامى إلى الاستمرار فى المقاطعة بشكل جدى لأنه لا طائل من وراء الإدانة والشجب والاستنكار لتكرار الإهانة وحذر من التهاون فى الدفاع عن الرسول ﷺ فهو نبينا لم يمت لكنه حي بسنته الشريفة وسيرته الراقية ، بينما اســتنكر الدكتــور زغلول النجار السبات العميق الذى يغط فيه بعــض المســلمين ، وأدى لتخلف تكنولوجى وعلمى رهيب بين الشمال والجنــوب ، ودعــا كــل حكومات الدول الإسلامية والعربية للاهتمام بتطوير المناهج التعليميــة ، ودعم البحث العلمى إلى جانب استمرار المسلمين فى المقاطعة .

كما أيد الدكتور النجار استخدام الشباب العربى للوسائل التكنولوجية فى الرد على من أساءوا الرسول ﷺ ، وأوضح أن كل مسلم عليــه دور فى الدفاع عن النبى ﷺ . ومن ناحية أخرى فإن للحكومات دوراً فـــى إرسال بعثات من العلماء لتوضيح صورة الإسلام الصحيحـــة لـــهؤلاء الذين لا يعرفون معنى للربوبية أو الإلوهية ، وانتقد كذلك قيام بعـــض غير المسلمين داخل مصر بإطلاق قنوات فضائية توجه الشتائم للإسلام والرسول الكريم ﷺ ، مما قد يؤدى إلى فتنة كبيرة بين قطبى الأمة على أرض الكنانة ، وهذا يستدعى تحرك المسلمين من الجـــانبين لإســكات هؤلاء المتطرفين، ولا تقتصر الحملة على الهجوم الغربى للإسلام ، بل يوجد أعداء من الداخل يسممون أفكار البسطاء من الناس بما يحملـــون من معاول للهدم ، ومنهم تنطلق حملات للهجوم على هذا الدين [١] .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٥ .

وركز الداعية عمرو خالد على أهمية الحوار برغم الانتقادات التى وجهت إليه من بعض علماء المسلمين واتهامه بأن مبادرته للحوار محاولة لإجهاض الضغط الشعبى المتزايد ، وإفشال جهود المقاطعة فى هذا التوقيت بالذات ، وقد رد عمرو خالد على هذا الاتهام من خلال حوار أجرته الصحفية علا مصطفى عامر فى جريد الأهرام . قائلاً دعونى للحوار ليس معناها أننى أدعو للتهدئة ، فلا يمكن أن أتعن لذلك لأننى لا أضيع أبدًا حق نبينا ولا أزايد عليه .. ولقد أردت بالمبادرة ألا يضيع الحوار وسط أجواء من الغضب والاحتجاج ، خاصة أننى أسعى لحوار شعبى نفتقده منذ سنوات طويلة سيطر خلالها الحوار الرسمى ما بين الأزهر والفاتيكان فلابد من إدخال الشعوب فى التحرك ، ولا يجب أن نعتقد أن استصدار قوانين التجريم سيحل وحده المشكلة ، وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم سنجده لم يمنع الحوار حتى مع ألد أعداء المسلمين .

دعا عمرو خالد إلى وضع استراتيجية متكاملة للأجندة السياسية وعلى رأسها تطوير الخطاب الدينى، لأنه فى زعمه خطاب غير متناسب للعصر ولا للشباب ، فهو عاجز عن التحدث بلغته ومفاهيمه ، وعملية التجديد يجب أن تقوم على مبدأ أساسى اسمه (مناسبة المرحلة) باعتبار أن كل مرحلة يعيشها المجتمع تفرض بظروفها ومشكلاتها وقضاياها نموذجًا مختلفًا لشكل ومضمون الخطاب الدينى ، مما لا يكون مناسبًا لمرحلة أخرى سابقة أو تالية عليه ، أى أن التجديد سيظل مستمرًا وملاحقًا لحركة المجتمع واحتياجات أفراده [1] .

ويقول الدكتور عبد الله سمك رئيس قسم الأديان فى كلية الدعوة جامعة الأزهر أن نصرة الرسول ﷺ تكون باتباع سننه وأنها فرض

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٤ ،. الأسبوع ٢٠٠٦/٢/٢٠ .

عين على كل مسلم ، ومن ترك هذا الغرض فهو آثم ، وليست النصـرة فقط فى ميادين القتال بل النصرة بإحياء سنته المهجورة [١] .

وفى حوار خاص للأهرام أجراه إبراهيم فرغلى فى سرايفو مـع الدكتور مصطفى تسيرتش رئيس العلماء ومفتى البوسنة والهرسك أشار أنه رغم أن المشيخة الإسلامية فى البوسنة والهرسك تدين أشد الإدانـة العرض المسئ لرسول الله ﷺ ، وتطالب وسائل الإعلام الأوربية باسـم الحرية أن تتوقف عن إشاعة الخوف من الإسـلام ، لكـن المشـيخة الإسلامية فى نفس الوقت تناشد المسلمين فى العالم ، وخاصة فى أوربا والبوسنة والهرسك أن يحجموا عن ردود الأفعال العنيفة التى تسئ إلـى مكانة رسول الله ﷺ . وأضاف أن ما يقلقنا بشكل خاص هو مـا أدت إليه بعض الاحتجاجات العنيفة من سقوط ضحايا وأبرياء وعوضًا عـن ذلك ينبغى أن تكون المواجهة بفتح أبواب الحوار بين الأديان والثقافـات ولهذا فإنى أقترح أن يعلن هذا العام ٢٠٠٦ عامًا للحوار بيـن الأديـان والثقافات فى أوربا ...

فالدفاع عن نبينا ﷺ لا يكون بالضوضاء والعنف اللذين لا يمكـن التعرف فيهما على رسائل السلام والثقة بين الناس والشعوب، إنما الدفاع الحقيقى عن مكانة رسول الله ﷺ هو فى اتباع سنته الزاخرة برسـائل السلام والتفاهم ، ورسائل المحبة والثقة والعدل بين الناس والشعوب [٢].

ويجب البدء فى رسم خطة إسلامية تدار بأسلوب سياسى لمواجهة هذه الحملة المستعرة ضد الإسلام ، وتسـتخدم فيـها كافـة الشـعوب

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٧ . مقال بعنوان نصرة الرسول باتباع سنته .
(٢) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٠ .

الإسلامية كافة وسائل الضغط دون اللجوء إلى العنف لإيقاظ شعور الشعوب الغربية ، وتعريفهم بأن للإسلام شعوباً سوف تدافع عن كرامته ومقدساته .. من استخدام سلاح المقاطعة للبضائع وكذا ممارسة الضغوط المحسوسة على تلك الشعوب . إن للشعوب الإسلامية صوتًا وفعلاً ممكن أن يطول من يتعرض له ولمقدساته (١) .

ويرى الدكتور عبد الله الأشعل مساعد وزير الخارجية الأسبق أن يتم اتخاذ رد فعل جماعى ومخطط وموحد عن طريق منظمة المؤتمر الإسلامى تلتزم به كل الدول الإسلامية ، ويضع عددًا من البدائل المدروسة بدلاً من الإجراءات الانفعالية المؤقتة طبقًا لعلاقة ومصالح كل دولة مع الدانمارك حتى يكون الموقف عامًا وليس فرديًا ، وأن تضع المنظمة استراتيجية طويلة الأجل يتم التعامل من خلالها مع كل ما يوجه للعالمين العربى والإسلامى ، من إهانات وإساءات ، وأن تكون هذه الاستراتيجية والخطة معروفة وإلزامية ومعلنة ، حتى يكون وجودها والتزام الدول بها رادعًا لأى محاولة للنيل من الإسلام والمسلمين ، وبالدرجة التى يمكن معها أن تشعر الدول الأوربية بقوة العالم الإسلامى بالقدر الكافى (٢) .

وتضيف الدكتور سعاد صالح عميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر ، أن ردود الأفعال الأخيرة للرسوم المسيئة لابد أن تكون بداية لمنهج الوحدة فى المواقف والرفض ، وأن يتم تعميمها على مستوى العالم الإسلامى، وهو ما يحتاج إلى عزيمة قوية لاستمرار

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٧ . مقال بعنوان لست أنت المقصود يا رسول الله وإنما الإسلام، محمود شكرى .
(٢) الأسبوع ٢٠٠٦/٢/٦ .

هذه المواقف وألا تكون مجرد ردود فعل وقتية مؤكـــدة أن الشـــعوب استطاعت أن تفرض إرادتها .. وفعلت ما عجزت عنه الحكومات وهى التى دفعتها للتحرك [١] .

ويحدد الدكتور عبد الله بركات عميد كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر ثلاثة اتجاهات لمخاطبة الغرب ، ويقول إن مخاطبة هؤلاء تحتاج إلى تخلية قبل التحلية بمعنى إعطاء أولويـــة لإزالـــة الشـــبهات العالقـــة بأذهانهم وهناك ثلاثة اتجاهات لتحقيق ذلك :

أولها : أن يحرص المسلمون على تكوين صورة صحيحة عـــن الإسلام على أرض الواقع ، ولكى يتم هذا يجب العودة لهدى النبـــى ﷺ فقد كانت السيدة عائشة رضى الله عنها تقول عن خلقـــه كـــان خلقـــه القرآن) بمعنى أنه كان ينهى عما نهاه الله ويأتمر بما أمره به . فينبغى التأسى به والعمل بسنته .

وثانيها : أن يتناول العلماء والدعاة تلك الشبهات عـــن الإســـلام ويفندوها ويقدموا الحجة على فسادها حتى لا تتطور هذه الشـــبهة إلـــى نتائج مغلوطة ، ويظن مثيروها أنهـــا حقائق لا يمكن إنكارها ، فمـــن هذه الشبهات أنهم يعتقدون أن الإســـلام ديـــن إرهـــاب ، ولا يعـــرف الحرية ، يُكره الناس على الدخول فيه ، ويضطهد المخالفين ولا يقبـــل الآخر ، فالواجب عرض الإسلام بصورته الصحيحة ، وبيـــان أنـــه لا يجعل رجال الدين يسيطرون على أفكار الناس وتوجهاتهم ، وأن الجميع فى الإسلام مرجعيتهم كتاب الله وسنة النبى ﷺ وليس أصولية الأديـــان الأخرى .

---

(١) الأسبوع ، العدد السابق .

أما ثالثها : فهو أن يفند العلماء والدعاة واقع المجتمع الغربى بما فيه من مساوئ وانتهاكات ، ويضعوا لهم الحلول من كتاب الله بمنهجية الإسلام التى تنفى التطاول على أصحاب الديانات الأخرى ، وينبغى أن نحذر من أن الغربيين يترقبون ردود الفعل التى ستصدر من المسلمين ، والتى يتوقعون ألا تخرج فى رأسهم عن الإساءة لأصحاب الديانات الأخرى ، أو عن التهديد بالقتل والوعيد ، ولذا يجب أن يرتفع الخطاب الموجه لهؤلاء ليتناسب مع رقى دين الإسلام ، فقد كان رسول الله ﷺ يهتم بمخاطبة غير المسلمين ، ويشير إلى أن عقلاء مفكرى الغرب قد أنصفوا الإسلام وأهله فها هو " مايكل هارت " يختار رسول الله فى كتابه " الخالدون مائة " ويجعله الأول عليهم جميعًا .

ويقول " برناردشو " الفيلسوف الإنجليزى فى مؤلفه " محمد " الذى أحرقته السلطة البريطانية أن العالم أحوج ما يكون إلى رجل فى تفكير محمد ، إنه أعجوبة خارقة ، بل إنه منقذ البشرية .

أما الأديب الألمانى " جوته " فيقول : إننا أهل أوربا لن نصل إلى ما وصل إليه محمد ، وسوف لا يتقدم عليه أحد ، ولقد بحثت فى التاريخ عن مثل أعلى للإنسان فوجدته فى النبى محمد الذى نجح فى إخضاع العالم كله بكلمة التوحيد (١) .

ومع تقديرنا لكل الجهود الإسلامية للرد على الإهانات الدينية التى ارتكبتها إحدى الصحف الدانماركية - وبعض الصحف الغربية - فإننا نرى أنه على المسلمين أن يوجهوا - أيضًا - جزءا أساسيًا من اهتماماتهم وطاقتهم إلى الشعوب الأوربية ذاتها ، إذ أن أغلب هذه

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٧ . ص فكر دينى .

الشعوب لا تعلم شيئًا عن أحكام الدين الإسلامى الحنيف ، بل لقد تمكنت الآلة الدعائية المعادية بوسائلها الجهنمية من ترسيخ مفهوم لـــدى هـــذه الشعوب بأن الدين الإسلامى هو دين العنف وسفك الدماء . واســـتغلت فى ذلك بعض أعمال وقعت هنا أو هناك بعضها أساء فعلاً للمســـلمين وبعضها جرى تأويله وإساءة تفسيره ، وجرى انتزاعه من سياقه ومـــن أصول لا تنتجها ، فتم خلط الأوراق - وغالبًا عن عمد - ومع استمرار حملة الإساءة للدين الإسلامى وللمسلمين لفترات طويلة ترسخ فى مفهوم الأوربيين أن الدين الإسلامى ذاته هو دين العنف ، لكن وفى المقابل فإن بعض كبارالفلاسفة والعلماء الغربيين أنفسهم هالتهم الصورة بالغة الظلم .. وهذا الخلط الماكر .. وتعجبوا لما لاحظوه من أن الغـــرب يطبـــق العنف.. والذى وقع بين أبنائه المحن التى أدت إلى مقتل عشرات هناك، الغرب هو الذى يتهم الدين الإسلامى ذاته بأنه دين العنف وسفك الدماء.

ولقد اتجه هؤلاء الفلاسفة والعلماء الغربيون إلى الدين الإســـلامى لدراسته بعمق ، فتأكد لديهم أن هذا الدين إنما هو رسالة سماوية عظيمة وأنها أنارت الأرض ودعت إلى إفشاء السلام فى الكون ، وأن الرســـالة بها آيات يعجز الفكر الإنسانى عن الإتيان بها لفظًا ومعنى ، وأن محمدًا ﷺ - أو ماهوم عند بعض الغربيين - هو صوت حق وصـــدق وأنـــه مثال للبطولة والعظمة والشهامة والفروسية ، والتسامح فـــتركوا حالـــة الإلحاد واللادين التى كانوا عليها وأشهروا إسلامهم .

ومن أشهر هؤلاء الفلاســـفة الإنجلـــيزى " الكونـــت هـــنرى دى كاسترى " - الذى هاجم آراء زملائه من المستشرقين وراح يفند آراءهم وأشار إلى أن سلاحهم يتمثل فى إشباع المسلمين سبًا وشتمًا بلا حـــق -

ثم كان أن أشهر إسلامه وألف كتابًا بعنوان " الإسلام سوانح وخواطر " ترجمه للعربية المرحوم فتحى زغلول ، كما ألف عدة كتب أشهرها " الشرق والغرب " رد فيه ببراعة عما نشر فى الغرب من أضاليل عن الإسلام ومن هؤلاء الفلاسفة أيضًا الإنجليزى " كارلايل " الذى أشهر إسلامه وألف كتاب " الأبطال " ترجمة المرحوم محمد السباعى وقد أعلن فيه أن علينا أن نحارب تلك الادعاءات السخيفة المخجلة التى تقول أن الإسلام دين كذب بل هو دين حق ، ثم يتساءل هل رأيتم رجلاً كاذبًا يخلق دينًا وينشره ؟

أما " اللورد " هيدلى " فقد أحدث إسلامه ضجة كبرى لمركزه وعلمه - وحينما أراد الحج مر بالإسكندرية ، فأقام له أهالى الثغر حفلة كبرى، وضعت تحت رعاية الأمير السابق " عمر طوسون " . وأعلنها، أنا رجل فررت من سرداب مظلم إلى أرض مضيئة ، لقد تملك الدين الإسلامى عقلى وقلبى وشعرت بسلام وبسعادة وطمأنينة - وجاء كتابه " إيقاظ الغرب للإسلام " ناصع البيان قوى الحجة فى الدفاع عن الدين الإسلامى الحنيف أما الروسى " تولستوى " أديب روسيا الأشهر والأعظم فقد قرر أنه يكفى محمدًا فخرًا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام ، وتكف عن سفك الدماء .. ونحن نرى أهمية قيام الهيئات الإسلامية بتجميع مؤلفاتهم وتوزيع ملايين النسخ منها على الأوربيين لنفى الأضاليل التى تنشر عن الإسلام ، ومن جهة أخرى فإننا نرى الأهمية القصوى لأن تقوم إحدى الدول أو الهيئات الإسلامية - ولو من خلال مسابقة عالمية بجائزة عظمى - لإعداد كراسة عن الدين الإسلامى العظيم تتناول التعريف به وبأركانه وتعاليمه وأحكامه ، وبالنبى الكريم على ألا يتجاوز عدد صفحات هذه الكراسة

عن سبعين صفحة ، يتم ترجمتها إلى اللغات الأوربية وتوزيعها في الغرب .. للتعرف بالدين الإسلامى العظيم وبما يساعد على التعارف بين الشعوب والأديان والحضارات .

ويأتى هذا العمل العظيم الفائدة ليتزامن ويتوازى مع التعهد الجدير بالتأييد الذى قطعه وزير الخارجية الدانماركى أمام الاتحاد الأوربى فى الأول من مارس ٢٠٠٦ بأن تقوم الدانمارك خلال الأشهر المقبلة بعدة مبادرات بهدف تشجيع الحوار القائم على الاحترام ، وبأن بلاده سوف توفر دعمًا ماليًا لمبادرة تحالف الحضارات التى أطلقتها أسبانيا وتركيا تحت رعاية الأمم المتحدة [١] .

ويمكن استثمار هذه الأزمة لصالح الإسلام والمسلمين ، أما عن كيفية استثمارها فهو ما يجيب عليه الفصل التالى .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٣/٨ . مقال بعنوان الدانمارك والكرامة الإسلامية للمستشار محمد العطار .

الفصل العاشر

كيف يمكن استثمار هذه الأزمة
لصالح الإسلام والمسلمين

كيف يمكن استثمار هذه الأزمة

لصالح الإسلام والمسلمين

قد تباينت ردود العلماء والمفكرين حول هذه الأزمة ، ورب ضارة نافعة كما يقول المثل العربى حيث أحدثت هذه الأزمة نوعًا من اليقظة ، وولدت طاقة قوية لدى العلماء والمفكرين لتباحث أمور الدولة الإسلامية ، وأسباب ضعفها ، واقتراح الحلول لما تواجه من مشكلات وقضايا .

وقد هب الشارع الإسلامى فى جميع البلاد الإسلامية بدون تمييز دفاعًا عن حرمة النبى ﷺ وشرفه ، وتفاعلت الغضبة الجماهيرية إلى حد مقاطعة البضائع الدانماركية ، وحدثت أعمال العنف ضد منشآت دبلوماسية دانماركية سفارات وقنصليات ، وتراجع الخطاب الرسمى الدانماركى والأوربى قليلاً ، وبدلاً من تبرير الإساءة بأنها من قبيل حرية التعبير ظهر الأسف والاستنكار لما حدث ، ولكنه لم يصل إلى حد الاعتذار الرسمى الكامل عما حدث ؟ وهو وحده الذى يشفى غليل أكثر من مليار ونصف مليار مسلم على ظهر الأرض طالتهم الإساءة ومست عقيدتهم فى الصلب والجوهر .

ومازالت المهمة ملقاة على عاتق المسلمين فى ضرورة الانتباه وحصر الشبه والمفتريات التى وجهت إلى الإسلام ، وإلى شخص النبى ﷺ وإلى القرآن الكريم ، ونحن نملك الآن وإن كنا ضعافًا مفككين .. لكننا نملك من الناحية المادية والثقافية ما نستطيع أن نرد به على هؤلاء تصحيحًا وإبرازاً لمكانة النبى وشريعة الإسلام . وهنا يبرز دور الأزهر

فى مصر ودور المؤسسات الدينية والثقافية فى الســـعودية وباكســـتان وإيران وكافة الدول الإسلامية .

إن الإساءة إلى الرسول ﷺ أوضحت مدى حب المسلمين لرسولهم وللإسلام كما بينت أن المسلمين مازالت لديهم القدرة على الغضـــب ، وأن هذه الغضبة وصلت إلى أوربا والغرب المحايد ، حتى أنهم بـــدأوا يتساءلون من هذا الرسول وربما يؤدى هذا إلى دخـــول الكثـــير فـــى الإسلام (١) .

لقد أعلن المركز القومى الفرنسى للكتاب أن هناك طفـــرة هائلـــة ومفاجئة فى مبيعات القرآن الكريم فى فرنسا بلغت ٣٨% فى أســـبوع واحد وهو رقم غير مسبوق وهو ما يعنى أن بين كل ١٠٠ كتاب بيعت فى فرنسا كان هناك ٣٨ نسخة من القرآن الكريم ، وبلغـــت حصيلـــة المبيعات خلال أسبوع واحد بعد نشر الرسوم المسيئة للنبى ﷺ ٦٠ ألف نسخة وفى تصريحات خاصة للأهرام قال المتحدث باســـم المركـــز أن أزمة الرسوم المسيئة للرسول ﷺ دفعـــت أوربييـــن كثـــيرين لاقتنـــاء المصحف وأن هذه الطفرة فى المبيعات تعادل ضعـــف الطفـــرة التـــى شهدتها مبيعات القرآن عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م .

إن ما حدث من إساءة وتطاول سافر على مقام سيدنا رســـول الله ﷺ تحت عباءة الحرية الكاذبة المغلوطة بقدر ما أحزننا وآلمنا وأشـــعل النار فى صدورنا ، بقدر ما أكد وأثبت أن الأمة الإسلامية بخـــير وأن قلوبها عامرة بحب الرسول الكريم ﷺ وأن ما حدث من ردة فعل علـــى تلك الإساءة والتى لم يكن يتوقعها بعض الغربييـــن أعـــداء الحضـــارة

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٢ . مقال بعنوان " طاقة غضب " د. مصطفى عرجاوى .

والإنسانية ، والتى أفقدتهم توازنهم وجعلتهم فى حيرة من أمرهم بعدما وضعتهم فى مأزق يصعب الخروج منه .

لقد فاجأتهم ردة الفعل التى لم يشهد العالم أجمع مثلها منذ زمن طويل ، وخاصة أنها ليست غيرة على الكرامة فقط بل كانت غيرة على قدس الأقداس ، غيرة على الحبيب المصطفى طب القلوب ودواؤها وعافية الأبدان وشفاؤها ، فكانت بحق غضبة الحب هذه .

كما أن رد الفعل العارم فى بقاع الأرض أكد أيضًا أن إيماننا بخير ، وإن كنا قد ابتعدنا قليلاً عن منهج الله تعالى وشريعته .

ولكن هل نواجه هذه العاصفة بالغضب الذى اجتاحت رياحه البلاد الإسلامية من مشرقها إلى مغربها ، وربما استغل الحاقدون فى الغرب هذه الرياح الغاضبة لإشعال نار الفتنة ، وتشويه صورة المسلمين وتأكيد اتهاماتهم لنا بالإرهاب ، وعدم الإيمان بحرية الفكر والتعبير .

الإجابة يقدمها د. محمد مؤنس عوض الأستاذ بجامعة عين شمس الذى ينوه إلى أن الحقائق الإسلامية ساطعة ، ويجب أن نوضحها أيضًا للغرب مهما يحاوله البعض قلب الحقائق لتشويه صورة الإسلام ، والإساءة إلى النبى ﷺ والافتراء عليه زورًا وبهتانًا .. وأن هذا النبى الكريم الذى حمله ربه أمانة الرسالة الكبرى، وقضى بحفظه ورعايته، حتى انتشرت دعوته فى الأرض شرقًا وغربًا وكفاه الله إساءة المسيئين، وأيده الله بالقرآن ، فكان له النصر والغلبة لرد العدوان بالحجة والبرهان والدعوة إلى توحيد الله بالخلق والمثل العليا ، حتى مع أهل الكتاب ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل ١٢٥) ، وعلى هذا المنهج تربى أعلام الصحابة الذين تخرجوا فى مدرسته وامتلكوا صفة التقوى والقوة والعلم والسياسة.

ويضيف أن بعض مفكرى الغرب هاجموا نبى الإسلام ، والذين صوروا الأمر بأن الإسلام دين عنف ودماء وعدوان وحرب ، فهذا الهجوم ليس وليد عصرنا ، وإنما حدث من قبل عندما وجدوا فى غزوات الرسول ﷺ عوناً لهم آنذاك ، لأنهم لم يتبصروا الحقيقة ، وأن حياة النبى ﷺ تكشف لنا أن الأساس كان السلم والمسالمة ، والحرب هى الاستثناء الذى لا مفر منه ، وكانت مشروطة بشروط عديدة على نحو جعلها متحضرة ومهذبة فى أهدافها الكبرى ، وأخضعها لضوابط تمنع من تحولها إلى عدوان أهوج لا فائدة ترجى من ورائه .

وقد أظهر العديد من مفكرى الغرب الذين رفضوا فكرة وصف النبى ﷺ (بالمحارب) ولهم كتابات واعترافات عن قناعة بالدور الذى قام به الرسول ﷺ فى توجيه البشرية كلها نحو عبادة الخالق الواحد الأحد (١) .

ويصف الدكتور محمد منسى – أستاذ الشريعة فى كلية دار العلوم جامعة القاهرة – ما حدث بأنه فرصة عظيمة أتيحت لنا لنوضح موقفنا من الرسول الكريم ﷺ من خلال التمسك بالقيم والعدل والصدق والأمانة والرحمة بين البشر ، فقد بعث ليس فقط رحمة للمسلمين بل رحمة للعالمين أجمعين ، ولكن ينبه إلى أنه قبل أن تأخذنا دوافع الانفعال يجب علينا أن ندرك بعض الحقائق القرآنية التى تساعدنا على فهم ما حدث للإسلام وللنبى :

فالحقيقة الأولى : هى أن الأذى سيستمر فى الأموال والأنفس والمعتقدات والرموز الدينية ، هذه سنة الدعوات والعقائد التى لم تسلم

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٣/٢ . مقال بعنوان (سوء الفهم سبب كراهة الغرب للإسلام) .

منها عقيدة واحدة ولا نبى واحد ، وعندما يقع الاعتـــداء فـــإن منـــهج التعامل معه هو : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (آل عمران ٣٦) . وقد تختلف وسـائل الإيـذاء بـاختلاف الزمـان والمكان ولكن القـاعدة واحـدة ، وأن العقـائد وأتباعـها يتعرضـون للاستهزاء وأحيانًا السخرية .

الحقيقة الثانية : تظهر فى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ (الأنعام ١١٢) فالـهجوم علـى الأنبياء سنة متبعة فى الأمم كلها ، والقرآن لا يخشى من هذا الـهجوم شيئًا ، فالهجوم على الأديان والأنبياء وعلى الرسالات أمر لا يخلو مـن حكمة من الله سبحانه وتعالى ، ولكن المقاومة هى التى تستثير القـوى الكامنة وتنميها وتجمعها وتوجهها ، وأى دعوة جديدة فى حاجـة إلـى استثارة هذه القوى لتتأصل وتترسخ فى النفوس لمن يتبعونها .

إن الغضب الذى اجتاح نفوس المسلمين فى كـل أنحـاء الأرض تجاه نشر رسوم كاريكاتيرية تسئ إلى نبى الإسلام محمد ﷺ فى إحـدى الجرائد الدانماركية والغربية هو مشاعر طبيعية ، غيرة وحميـة علـى ديننا ونبينا ، ورد فعل طبيعى من داخل روح كل مسلم فى أى مكـان ، ولكن لا ينبغى أن نتوقف إزاءها ، بل يجب أن نستثمر هـذه الغضبـة وبعدها ، لابد أن نضع خطة المواجهة على المدى الطويـل ، وبشـكل دائم وليس مؤقتًا لذلك العدوان العنصرى الدائم والمستمر على حضارتنا الإسلامية العظيمة ، وأن نعى ونستوعب أن ما يحدث الآن من مظـاهر عنصرية عنيفة تعلن بوضوح ضد الدين الإسلامى والمسلمين هو امتداد واستمرار - كما سبق القول - لما كان يحدث فى الأمس البعيـد منـذ بداية الحضارات الغربية ، والتى بنيت فى أساسـها علـى الحـروب

والعدوانية والتشدد والعنصرية .. والحروب الطويلة التى مازالت مستمرة حتى الآن .. وإن كانت تأخذ أشكالاً مختلفة ومتنوعة تحت لواء حرية التعبير ملك للآخرين ، ولكنهم تناسوا أن حرية ازدراء الأديان مرفوضة فى كل زمان ومكان ، ومع كل الأديان السماوية المسيحية واليهودية والإسلامية وفى مقابل هذا العنف الغربى أيضًا .

ونحن كمسلمين على اختلاف أجناسنا وفى كل بقاع الأرض نملك السلاح الأقوى ، وهو الإيمان بالله وبدين الإسلام دين المحبة والمساواة والإخاء ومساعدة المستضعفين على وجه الأرض ، هذا الدين المبنى على الإنسانية واحترام حقوق الإنسان ، والانتماء إلى مبادئ أخلاقية ثابتة تصلح لكل زمان ومكان ولكل إنسان على وجه الأرض وما يحدث الآن هو حرب مبادئ وقيم ، حرب الإيمان ضد الوثنية والزندقة والكفر والإلحاد .. حرب القيم والمثل والأخلاق ضد قتل حرية الإرادة داخل نفوس البشر ، وما أشدها من حرب تستدعى كل الأسلحة ، والأدوات العقلية والمنطقية والعائد والمثل والأخلاق - حرب تتطلب وعيًا كاملاً لمن نحن فيه ، وما نحن مقبلون عليه .. حرب تستدعى اتحاد كلمة المسلمين تحت لواء واحد مهما اختلفت مذاهبهم الدينية تعتمد على تاريخ ثقافى إسلامى وحضارى طويل الأمد .. تتطلب انتشار دعاة الإسلام فى كل مكان ، والاحتكاك بالآخرين واتباع وسيلة الإقناع والصدق ، حتى تعلو أكثر كلمة الإسلام ، وتنشر قيمنا الإسلامية والأخلاقية ، فتهذب نفوس الغرباء والتائهين والضائعين من بنى البشر(١).

فالصورة التى يجب أن نصدرها للغرب هى الصورة الحقيقية للمسلم ، فالمسلم هو من سلم الناس من لسانه ويده ، والذى يملك نفسه

---

(١) الأخبار ٢٠٠٦/٢/٩. مقال بعنوان (حرب الإيمان ضد الوثنية) - فاطمة مصطفى.

عند الغضب ، فإشعال النيران فى أعلام دول بعينها ، والتعـدى علـى سفاراتها وقنصلياتها ، والتهديد بالاعتداء على المصالح الغربية ، أعمال ترويع لا تليق بأمة الإسلام ، بل تؤكد للغرب الصورة المغلوطة بأننـا أمة إرهابية ، فحينما نحاول أن نخاطب الآخر لنوجه له رسالة فحواهـا إن السخرية من رسول الله محمد ﷺ إهانة لمشاعر المسلمين ، وحريـة الاستقاد التى تترسها الدول الغربية، فيجب أن يكون ذلك بنفس اللغة التى يفهمها الغرب العلمانى الذى رفع (خانة) الديانة من البطاقة الشخصية وترك الحق لمواطنيه لاعتناق أى دين أو حتى الإلحاد.. ونقد المعتقدات الدينية يتم بدعوى أن العقل هو الإله الجديد الذى يجب أن يتبع .

العقلية الغربية عقلية برجماتية تحسبها بالورق والقلم فسلاح مثـل سلاح المقاطعة لمنتجات الدول التى أساءت إلى معتقداتنا ، سلاح قـوى يصل لرجل الشارع فى الدانمارك والنرويج وغيرهما ، حيث يمكـن أن يفقد وظيفته نتيجة تلك المقاطعة .

كما أن رفع قضية على هذه الجرائد وطلب تعويض ضخم عـن هذه الإساءة ، يمكن أن يكون أداة ردع لأية صحيفة عند الأقدام علـى مثل هذه الأفعال المهينة ، ولنتعلم من اليهود الذين استطاعوا الحصـول على حقهم وأكثر لمجرد التشكيك فى المحارق النازية ، كما اسـتطاعوا استرداد أموال اليهود الذين توفوا بفوائدها مـن البنـوك السويسـرية باعتبارهم ورثة يهود المحرقة المزعومة الشرعيين ، وتـم كـل ذلـك برضا العالم دون تعد على منشآت أو تحريق أو تهديد(١) .

كما ينبغى أن ندرك أن هذه المبالغة فى الانفعال والتقدير تفقدنـا النظر بموضوعية إلى المسألة ، لنرى حجمها الحقيقى فكمـا أن فـى

---

(١) الأخبار ٢٠٠٦/٢/١٠ . مقال بعنوان (هم يسيئون للإسلام ونحن أيضا) مي عزام .

الغرب من يسيئون إلى الإسلام ، فإن فيه من ينظرون إليه بإنصاف واحترام ، وكما أن فى الغرب جهات ومنظمات مشبوهة لها أهداف خبيثة وتفتعل المعارك بين العالم الإسلامى والغرب لإساءة العلاقة بينهما وإشعال الصراع بين الثقافات والأديان .. فإن فى الغرب مؤسسات ومفكرين وشخصيات مؤثرة تدافع عن الإسلام ، وتدعو إلى احترام ما فيه من قيم إنسانية وحضارية وروحية سامية ، كما أشرنا إلى ذلك فى فصل سابق.

فمن المسلمين من يهاجم الحضارة الغربية دون أن يميز بين جيدها ورديئها ودون وعى بحقائق التاريخ وأسرار الحضارة ، فأى حضارة ما هى إلا رصيد إنسانى مشترك ونتاج جماعى لشعوب كثيرة، ولا تدان الحضارة بسبب جوانبها السلبية ، ولكن تدان لسوء استخدامها أو استغلالها ضد شعوب بعينها ، ويضيف الدكتور محمد أبو ليلة أستاذ الدراسات الإسلامية ورئيس قسم اللغة الإنجليزية فى جامعة الأزهر أنه يجب عدم التعميم فى الخطاب والخلط بين السياسة والشعوب ، وأن من أخطاء المسلمين عدم توظيف إمكاناتهم وثرواتهم الطبيعية وعبقرياتهم فى كافة المجالات وخاصة عند مخاطبة الغرب(١) .

ويرى الدكتور مصطفى عرجاوى أستاذ القانون فى جامعة الأزهر أنه على المسلمين فى مثل هذه الأزمات ، أن يتوحدوا وأن يكونوا صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص . وأنه يجب تفعيل دور الهيئات والمؤسسات الإسلامية للرد على أى إهانات أو افتراءات توجه للمسلمين فى حينها بالأدلة والبرهان والحكمة واتخاذ المواقف والإجراءات القانونية قبل أن تستفحل الأمور وتتصاعد (٢) .

---

(١) الأهرام ٢٠٠٦/٢/١٧ . كيف ندافع عن الإسلام .
(٢) الأهرام ٢٠٠٦/٢/٢٥ .

ملحق

قصائد شعرية

في حب رسول الله ﷺ

أحبك يا رسول الله

بمدحك يا رسول الله طبت وطابت من مديحك ما كتبت
فكم داريت حبّا فى فؤادى وكم عانيت من شعر كتمت
فكيف أقول شعرًا فى رسول هو البحر الذى يرجوه بيت
مقامك يا رسول الله عال وإن حاولت أن أدنو احترقت
وأنت مدائن الأخلاق تترا على هدى النبى أنا استقمت
شفيعى يوم ترتعد البرايا أمد الطرف نحوك ما رنوت
وينهل من ضياك ثبات نفسى وأفراح بالورد متى وردت
على الحوض العظيم أجىء شوقًا لكفك يا رسول الله تقت
فآخذ من يدك نقى ماء وأشرب شربة منها أرتويت
نبى الله باللقيا أمنى وإن أحظى بلقياكم نجوت
لى الشرف لا من شبيه له بين الخلائق إذ رأيت
فرؤيا أحمد فى الحلم صدق فهل حقًا أراك وقد رجوت
ويرضى الله فى يوم علىَّ فأسعد بالرسول إذا غفوت
أحبك يا رسول الله حبّا تكاثر فى الحنايا وما اكتفيت
وتهفو بالحنين إليك روحى فأسقط فى البكاء وما دريت
عظيم الشأن قد كثرت شجونى وأجهدنى المسير وما وصلت

(جريد صوت الأزهر)

النـــبى ﷺ

(شعر : عبد الله محمد باشراحيل)

فدتك نفسى وأمى بل فداك أبى — يا سيد الناس فوق الناس أنت نبى
أشرقت فى حلكة الأيام وانتشرت — سحـــائب النور أداء لكل أبى
وطاف حولك ريان الهدى ألقا — بالوحى يصدع من قرآننا العربى
لم تنثن وعقول الجهـــل سادرة — تذود عن شرعة الإسلام كل غبى
فكنت أعظم ما فى الخلق منزلة — وقد تجاوزت فوق الشأو والرتب
يا صاحب الخلق الأسنى مواهبه — يا أيها الطاهر المزدان بالأدب
ما نال مجـــدك إنسان ولا بلغت — سمو قدرك أقـــدار من النجب
ولن تطاولك الأغيار فى شرف — فأنت أشرف بالإيمـــان والنسب
لأنـــت يا سيدى دين لأمتنـــا — ودينك الحـــق يجلو ظلمة الريب
وأنت بالحب شمس فى ضمائرنا — أضاءت أفئـــدة فى ليلها الكئب
ذم الذميم دليـــــل أن شرعتنا — حقيقـــة رغم الكيـــد والرهب
هـــذا (محمد) نور الحق مشعله — ما ضره من رمى بالزيف والكذب
هو الذى ما غشى الدنيا إلى ترف — ولو أراد لقلنـــا للقـــلوب هبى
لكنه جاء بالدين الذى ارتفعت — به المحامد وازدادت من القرب
تطاول القزم والإســـلام يحقره — وكعبـــة الله نادت كل منتسب
من طغمة الكفر أوغاد تناوئنا — وسوف نلهبها من وقدة الغضب
يا ألف مليون نفس فى مواطننا — الدين قـــد ناله وغد بغير أب
ذودوا عن الصادق المصدوق وانتصروا — على الطغام فلا عهـــد لمحترب
سيألمون بما قالوا وما زعمـــوا — ويصطلون من الأهـــوال واللهب
يا ســـيد الناس كل الناس راضية — أرضاك ربك بالرضوان والغلب
لأنت فى دارة الدنيـــا نسائمها — وأنت فى العين بين الجفن والهدب
صلى عليك حبيب الله خالقـــــا — يا أحمد،المصطفى،الهادى إلى الأرب

نفسى فداؤك يا محمد

(شعر : عربى صالح محمد)

فـــرد أطـــل إلى الضياء فســـبه بظلام
وأتى برسم ســـــاخرًا بنبينـــــا وإمام
إن الســـفالة منهج فى خســـة الإعلام
نرويج أو صهيونهم ترمى الســـنا بسهام
والجبن من دانمارك يغزو أرضينا بلئام
وإذا كلاب الغـــرب تنبح كلها بخصام
حرية السب القبيـــح شريعــــــة الأقزام
بعـــد المقاطعة الشجاعة أذعنوا السلام
ورموا إلينـــا باعتـــذار باهت بقتـــــام
نفسى فداؤك يا محمـــــد أن خير إمام
تفديك روحى - سيدى - من ثلة الإجرام

* * *

عفوًا رسول الله

(شعر : خالد محمد مصطفى)

تبت يدا قـــزم يســـب محمـــدا ... خـــير البرية والشفيع الأوحـــدا
من قبله سكن الضلال بكل ركـــ ... ـــن فى الدنا ، وببعثه ولد الهدى
حمـــــل الهــــداية للأنام هدية ... طلَع النهـــار أزال ليـــلاً أسودا
فلقـــد أتى شمس الحياة متممًا ... لمكارم الأخلاق، والعاصى اهتدى

وتنسم العقـــل الرشـــيد هواءها   والفجر صار مع الطيور مغردا
فاستبشرت كل الخلائق واهتــدت   لما رأت درب الحنان ممهــدا
زحــف العناد إلى الفؤاد فصــده   إبليس يسبح فى الدماء معربدا
لكنما عطر الربيــــع فما ونى   بل عاد يدعو للإله مجـــددا
حتى إذا كل العصـــاة تجمعوا   كى يطفئـــوا نور الإله توقدا
وأتى المدينــــة هاديًا ومبشرا   يرجو السلامة للأنام من الردى
عاش الحيـــاة برأفة وبعفــة   وبدعوة بلغت به أقصى مــدى
ملء الفـــؤاد برحمة وتواضع   ما كان أفضـــل كسبه أن يحمدا
فأبى علينا رغم رفعـــة شأنه   - وهو العظيم - بأن ينادى السيدا
غذى القلوب تعاطفًا ، لما اهتدت   فاضت هدى، وبفيضها الكون اقتدى
عذب الكلام ووجهه صحو الضحى   رب الفصاحة والسماحة والندى
عفوًا رســول .الله غفلت أمتى   عن سنة ، إن تحيها يجل الهدى
يا أمتى غــر اللئـــام شتـــاتنا   فتكالبوا ، وهجرت أنت السؤددا
نمنا فهنا فى الورى، ومشيت أنـــ   ـــت القهقرى ، والحر صار مقيدا
خفت الكلاب نسيت زهر تراثنا   هل يخضىأبناء الصقور من الحد؟
ركب الغرور رءوسهم فاستأسدوا   وتنمروا ، وقام قـــزم فاعتدى
عزفوا اللحون علىصياح غرابهم   وبجهلهم جعلوا الغراب المنشـــدا
يا أمـــة لم تستســـغ حلو المنى   واستعذبت جور القرود من العدا
يا أمـــة صنعت معاول هدمهـــا   واستبدلت برحى الجهاد المرقدا
هـــذا الرسول وقد أهين بعصرنا   هـــل بالبكاء وبالدعاء سيفتدى ؟
عجبًا لمن ساقوا الحياة كريمة   أن يسلكوا سبل القعود عن الفدا
هبى وثرى وارتدى فى قـــوة   ثوب الجهـــاد ، فغيره لا يرتدى

معذرة سيد المرسلين

(شعر : سعيد عبد الرحمن إبراهيم)

عــذراً رســول الله خير الأنام فقد خاض فينا الطغاة الآثمين
غرتهــــم الدنيـــــا وأغوتهم شياطينهم فسبوا بجهالة سيد المرسلين
أترضى يارب العــزة لرسولك المصطفى أن يهان من الكفرة الضالين
ربى أرنا فيهم عذابًا من فوقهم ومن تحتهم وعن شمائلهم وعن اليمين
لايستطيعون منه فراراً كيما يكونوا عبرة لأمم أمثالهم لرسلك هازئين
سلط عليهم اللهم بذنوبهم سخطا مثل قوم قلت لهم كونوا قردة خاسئين
لا نملك يارب إلا الدعاء فأيدنا بنصرك بدلاً من كظم الغيظ وبكاء المساكين
فقومنا اكتفوا بالمظاهرات والمقاطعة وشجبًا واستنكاراً ومحدثات يندى لها الجبين
تعلوا أصواتهم ويحملون اللافتات فى مواكب مهيبة كلما ألم بهم خطب مهين
هان علينا ديننا فهــنا فتقاذفتنا أيديهم واكتفينا بمشاهدة اضطهاد المسلمين
يا قوم أفيقوا من سباتكم واثأروا للحبيب المصطفى الهادى شفيعًا يوم الدين
هل آن لنا أن نذكركم بما حدث فى الشيشان والبوسنة والعراق وفلسطين
اتفقوا ولو مرة واحــدة للذود عن دينكم واعتصموا بحبل الله المتين

يا سيدى عذراً إليك

هل يطفئ النور العظيم عــواء   أم بالنبى يتنـــدر الجبنـــاء
صحف الجهالة حالفت شيطانها   فى كب رسـم زلة وهجـاء
وأتى الكذوب يخط رسمًا للذى   كان الصــدوق وسمته العلياء
هل تسخرون من النبى محمد   وهــو الذى للعــالمين رجـاء
الغرب يمعن فى الإساءة غارقًا   فى حــب صهيون وذاك غباء
وصحافة الغرب القبيحة أذعنت   لتقودها الأحقـــاد والبغضـــاء
تبًا لــكم يا آل ســام واعلموا   أنا لدين محمــد منــكم فــداء
وتفجر الغضـــب الكبير مزلزلاً   عرش الطغـــاة فثوبهم أشـــلاء
يا سيــدى أنت الهـــداية كلها   وسبيلك الإشـــراق والأضـــواء
يا سيــدى عــذراً إليك ودائمًا   تفديك من شر اللئـــام دماء

=======

وإذا الــكلاب تنـــابحت   قوموا ، أضيئوا المسجدا
صلوا وصوموا واعملوا   خـــيرًا تنالوا الســؤددا
عادوا العــدو وقاطعوه   ومزقـــــوه إذا بــدا
بل أرهبـــوه بقـــوة   وبوحـــدة تردى العــدا
قوموا جميعًا قومـــة   تذر الوضـــيع مهــددا

الخاتمة والتوصيات

فى كلمات تلغرافية نسجل أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج :

- بينت هذه الدراسة أن الصحافة المصرية على اختلاف توجهاتها أو ملكيتها ، لم تأل جهدًا فى سبيل معالجة هذه الأزمة ، وبيان أسبابها وطرق علاجها ، وما يمكن أن يترتب عليها من مخاطر جسيمة فى علاقة الشرق بالغرب ، والمسلمين بغيرهم .
- أفردت الصحافة المصرية صدر صفحاتها للكتاب والمفكرين والعلماء لإبداء الرأى والتعليق والنقد ، ونقلت نبض الجماهير المسلمة التى خرجت فى مسيرات ومظاهرات غاضبة تندد وتستنكر هذه الرسوم المسيئة فى حق سيدنا رسول الله ﷺ ، وذلك بالصورة والكلمة عبر المندوبين والمراسلين والإذاعات ووكالات الأنباء ، وكافة وسائل الاتصال الجماهيرى .
- أسفرت هذه الدراسة أن وراء هذه الأزمة ، ونشر هذه الرسوم المشينة أيدى خفية أشعلت هذه الأزمة ، وخططت لها وحركتها وأشارت الدراسة أن هذه الأيدى الخفية تمثلت فى اللوبى الصهيونى وإسرائيل ، واليمين الأمريكى المتشدد ، وتلاميذ صراع الحضارات ونهاية التاريخ " هنتجنتون - فوكوياما " .
- كما بينت هذه الدراسة أن هناك جهلاً كبيرًا فى الغرب بتعاليم الإسلام السمحة ، وحضارة الإسلام ، وقدر النبى ﷺ لدى أمته ، ومدى حب المسلمين لدينهم ورسولهم .

- أبرزت هذه الدراسة الدور الكبير للأزهر وعلمائه ومفكريه وكافة المؤسسات الإسلامية والقبطية أيضًا ، والمؤسسات المدنية فى التصدى لهذه الرسوم البذيئة لرسول الله ﷺ ، وتفنيدها وإنكارها والدعوة إلى الاحتكام إلى العقل والحوار ، والقانون الدولى والأمم المتحدة لفض هذه الأزمة ، واحترام الأديان والمقدسات الدينية ، ورسل الله أجمعين . وجددت الدعوة إلى حوار الثقافات ، وحوار الحضارات ، وواجب المسلمين فى الدعوة إلى دينهم ، وتعريف الغربيين بحضارة الإسلام وتعاليمه السمحة وتشريعاته للقائمة على العدل والرحمة ، وحب الرسل والأنبياء والناس أجمعين .
- بينت هذه الدراسة أن المسألة ليست حرية تعبير أو حرية صحافة كما ادعت الصحف الأوربية التى أعادت نشر الرسوم نقلاً عن الصحيفة الدانماركية، وإنما هى مسألة مخططة ومقصودة ومتعمدة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، ولصق تهم الإرهاب والتطرف بالمسلمين وإيجاد صورة ذهنية مشوه لدى القارئ الغربى ليكره الإسلام والمسلمين . فضلاً عن قطع الطريق أمام من يفكر فى الدخول إلى الإسلام من الغرب ، والعمل على طرد المهاجرين المسلمين فى الغرب والتقليل من شأنهم ، والعمل على حصارهم .
- أشارت الدراسة أن الغضبة الشديدة التى عمت العالم الإسلامى شرقه وغربه ، لرفض الإساءة إلى مقام رسول الله ﷺ ، قد أتت ثمارها وعم نفعها ، وأجبرت الصحيفة الدانماركية والمسئولين الدانماركيين ومعظم المسئولين فى الغرب على تقديم الاعتذار إلى المسئولين ، وإبداء الاحترام والتقدير لرسول الله ﷺ ، وللدين الإسلامى ، والشعوب الإسلامية .

- إن هذه الرسوم بقدر ما أحدثت من إساءة وازدراء إلى مقام رسول الله ﷺ ، إلا أنها أجمعت المسلمين على حب رسول الله ﷺ ووحدت بين صفوفهم وجمع كلمتهم ، وأيقظت مشاعر الحب في نفوسهم وأشعلت جذوة الإيمان في قلوبهم ، وعملت على إعمال الفكر والعقل في إيجاد السبل الكفيلة والوسائل الفعالة للتصدى لمثل هذه الإساءات في الحاضر والمستقبل . ومراجعة طرق وآليات الدعوة الإسلامية ، ومخاطبة الآخر بلغته ، واستغلال كافة وسائل الاتصال الحديثة ، والانترنت ، في التعريف بالإسلام ووصول صوته إلى الغرب .

- كان موقف معظم الحكومات الإسلامية حاسمًا في رفض الإساءة لرسول الله ﷺ ، وعلى رأسهم موقف الحكومة المصرية بقيادة الرئيس حسني مبارك ، التي أعلنت رفضها ، وحذرت العالم كله من مغبة الإساءة إلى الأديان والرسل في الحاضر أو المستقبل .

التوصيات

من خلال معطيات هذا البحث أرى أنه يجب على فضائياتنا الإسلامية أن تخصص جزءاً من جهدها للتواصل مع الأقليات الإسلامية في الغرب مما سيؤدى بالطبع إلى التواصل مع الغرب .

وأرى أنه لابد من تفعيل المقاطعة وتفعيل دور الحوار والتفاهم مع القطاع العريض في الغرب وذلك لقطع الطريق على القلة التي تحاول تحويل تفاهم الحضارات وتعاونها إلى صراع . واللجوء إلى الشرعية الدولية ، والقوانين الدولية .

وعلى الأمة الإسلامية فى كل مكان أن تكـــون علـــى مســتوى المسئولية فتطبق تعاليم هذا الرسول العظيم وتقتدى به وتتأسى بســلوكه وأن توحد صفوفها وتجمع كلمتها وتصون عقيدتها وهويتــها وألا تــرد على عبث العابثين بأساليب كأساليبهم فلا تحرق ولا تــهدم ولا تعتــدى لأن من تعاليم نبى الرحمة حتى فى الجهاد ألا يحرق الزرع وألا يــهدم البناء وألا يقتل الطفل أو المرأة أو الشيخ الكبير ، لأن رسولنا ﷺ حجة الله للعالمين .

إن الفرصة سانحة لكل مسلم لرفع دعوى أمام المحاكم الأوربيــة لحقوق الإنسان دفاعًا عن رسول الله ، كما ينبغى على كل قادر ترجمــة سيرة رسول الله ﷺ ونشرها على الإنترنت ومع هذا وذاك يجب مسايرة عصر العولمة بكل ما يحتويه من إيجابيات وسلبيات وتحييــد الإعــلام الذى يجب أن يستند للمرجعيات الإسلامية المستنيرة .

وأن يقوم الإعلام بدوره في نشر الدعوة الإسلامية ، والدفاع عــن الإسلام ، وتصحح الصورة الذهنية عن الإسلام والمسلمين فى الغرب .

وضرورة قيام الأمم المتحدة ومجلس الأمن بإصدار قرار يمنع أية أفعال أو أقوال تسئ للأنبياء والرسل أو المقدسات الدينية بصفة عامة .

وعلى المراكز الإسلامية فى الدول الغربية أيضًا دور كبير مـــن أجل توضيح حقيقة الدين الإسلامى وسماحته ، ووسطيته فى وقت تـــم فيه وضع الإسلام فى بؤرة الاهتمام الغربى .

وهذه هى الكلمة الأخيرة التى نوجهها إلى الدانمارك ليعرفوا إلـــى من أساءوا وإلى من قذفوا ؟ ! .

هذا هو محمد ﷺ

هو إنسان قبل أن يكون رسولاً ، ولو لم يكن رسولاً ، لكان إنساناً في مستوى الرسول .. هو الرسول الذى كتب لملوك الأرض ، طالبًا إليهم أن ينبذوا غرورهم الباطل ، ثم يصغى فى حفاوة ورضا لأعرابى حافى القدمين ، يقول له فى جهالة : اعدل يا محمد ، فليس المال مالك ولا مال أبيك .. هو الذى وقف أمامه ، صاغرين ، جميع الذين شنوا عليه الحرب والبغضاء ، فقال لهم: " اذهبوا فأنتم الطلقاء " .. هو أبهى، وأتقى ، وأسمى ، ما يكون الإنسان .. إنه محمد صلى الله عليه وسلم .

الفهـرس